AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١٢١) - السنة (٤٩) شوال ١٤٣٩هـ / ١ يوليو ٢٠١٨م

العلاقات الكويتية التركية..
ممتدة الجذور متعددة المجالات

تركيا تجدد الثقة بـ«أردوغان»

واقع الاقتصاد العربي..
مشكلات وحلول

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت ٧٥٠ فلساً - السعودية ١٠ ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر ١٠ ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني - لبنان ٤٥٠٠ ليرة - المغرب ٢٣ درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3,5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

خيركم لأهلكم

برفع الضبط والإحضار عن النساء الغارمات

التبرع .. عن طريق الاستقطاع أو عن طريق كي -نت

بيت التمويل الكويتي Kuwait Finance House 011140010577

الوطني NBK 1000314577

2483 4414 - 9406 4061

جمعية التكافل لرعاية السجناء

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١٢١) - (السنة ٤٩)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة.

الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير

٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩

٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٥ (٠٠٩٦٥)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

واقع الاقتصاد العربي
مشكلات وحلول

- العلاقات الكويتية التركية.. ممتدة الجذور 6
- د.خالد المذكور: علاقاتنا عميقة مع سمو الأمير 8
- تراجع تصنيف جامعة الكويت أثار نواباً وأكاديميين 12
- تركيا تجدد الثقة بـ«أردوغان» 32
- الهند تقرر إنهاء الحكم المدني في كشمير 36
- ندوة بالدوحة: مطالبات بجعل القدس أولوية عربية وإسلامية 38
- الحراك الأردني.. وتجاذب القوى المحلية والإقليمية 40
- «كأس العالم».. بطولة كروية أم عملية تجميل سياسية؟ 43
- بين المعلم والتلميذ.. علاقة لا تنفصم ولا تنقسم 46
- 59 ٪ من المراكز الإسلامية بالسويد تعرضت لاعتداءات عام 2017م ... 49

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية

الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً

الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً

للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات:

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع

ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:

ت: 22272733 ف: 22272736

distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:

www.saudidistribution.com

الإدارة العامة: الرياض0096612128000

فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909

فرع الدمام: 0096638473569

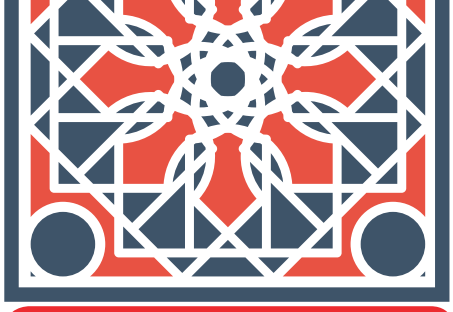

آية العدد

(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ {٣٨} أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ {٣٩} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {٤٠} الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ {٤١}).

(سورة الحج)

ملفات خاصة عن

دراسات - تربوي - فكر وشريعة

استشارات أسرية - فكر وثقافة

مقالات

أيديولوجية ثقافة الاستهلاك
د. زيد الرماني 39

المشردون السوريون.. كيف؟ وماذا؟
د. عامر البوسلامة 50

التعلم المستمر
د. يوسف السند 66

قطـر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغـرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الـدار البيضـاء
ص.ب 13008 ـ الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

ادخل على موقع «المجتمع»

رأي المجتمع

الشعوب العربية والإسلامية ستُفشل «صفقة القرن»

تلوح في الأفق بوادر تراجع، وفشل تمرير ما يسمى بـ«صفقة القرن» التي يتبناها الرئيس الأمريكي لتصفية القضية الفلسطينية، والتطبيع الكامل للدول العربية والإسلامية مع العدو الصهيوني، وتتمثل في اعتراف عربي إسلامي بـ«إسرائيل» يهودية، وإقامة علاقات طبيعية معها، مقابل إعلان قيام دولة فلسطينية بغزة وجزء من سيناء، وإعلان حل جميع الملفات بين الطرفين.

فقد ذكر محللون فلسطينيون، وأيضاً صحف صهيونية، أن الولايات المتحدة الأمريكية أجّلت طرح خطتها لتسوية القضية الفلسطينية، المعروفة إعلامياً باسم «صفقة القرن».

وقال المحللون: إن أسباب هذا التأجيل تتمثل في «الرفض الفلسطيني، والوضع الداخلي الصهيوني، وعدم وجود راع إقليمي يوافق عليها ويدعمها، إلى جانب العوامل الإقليمية التي طرأت مؤخراً مثل الملفات الكورية والإيرانية والسورية».

ولكننا نرى أن أسباب التأجيل الحقيقية أو الأكثر تأثيراً تتمثل في تصدي الشعوب العربية والإسلامية، وخاصة الشعب الفلسطيني، لهذه الصفقة المدمرة للقضية الفلسطينية.

وقد تمثل رد فعل الشعب الفلسطيني على هذه الصفقة بانطلاق «مسيرات العودة» في ٣٠ مارس ٢٠١٨م، وقد جسدت هذه المسيرات القدرة الجماهيرية على رد فعل قوي على الوعد «البلفوري» للرئيس الأمريكي «ترمب»، الذي اعتبر القدس عاصمة للكيان الصهيوني، وعلى «صفقة القرن» الرهيبة والمريبة الصادمة للطرف الفلسطيني والعربي والإسلامي.

إن «مسيرات العودة» بكل زخمها وصوتها القوي ستثبت أن اعتبار القدس عاصمة للكيان المحتل، ما هو إلا حبر على ورق سيتم طمسه بدم شهداء العودة، كما أن هذه المسيرة ستكون بمثابة الريح القوية التي ستقلب قدر طبخة «صفقة القرن».

وقد أعلن قادة فصائل المقاومة الفلسطينية أن الشعب الفلسطيني لن يسمح بتمرير «صفقة القرن» الأمريكية.

ولقد أثبت التاريخ على مر السنين والعصور أن الشعوب تنتصر في النهاية وإن هُزمت، وأن إرادة الجماهير الواعية لقضيتها والمتشبثة بحقوقها المشروعة ستكون لها الغلبة في نهاية المطاف.

فالإرادة العربية الشعبية رافضة لتصفية القضية الفلسطينية بهذه الطريقة المذلة، بل رافضة حتى للتطبيع مع الكيان الصهيوني.

فـ«صفقة القرن» لن ترى النور بحكم التجربة التاريخية، وبفضل دور المقاومة الفلسطينية والإرادة الشعبية العربية والإسلامية الرافضة للاحتلال الصهيوني.

والشعوب العربية والإسلامية هي التي ستُفشل «صفقة القرن»، فالقضية الفلسطينية تعيش في قلوب وعقول ووجدان مئات الملايين من العرب والمسلمين، ولا يمكن لأحد أن ينتزع فلسطين من صدور العرب والمسلمين، وستبقى فلسطين وسيرحل الاحتلال وداعموه، بإذن الله العلي القدير.■

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

تعد العلاقات الكويتية التركية من العلاقات المتميزة في التاريخ الحديث للدولتين، خاصة في مجال التكامل الاقتصادي المتميز؛ ويرجع ذلك إلى بداية استقلال دولة الكويت؛ حيث فتحت أول سفارة كويتية في تركيا عام ١٩٦٩م، ومنذ ذلك التاريخ والعلاقات لم تتوقف في كل المجالات، وكان من أبرزها الموقف التركي المشرف أثناء الغزو العراقي الغاشم للكويت؛ حيث سخرت الحكومة التركية أثناء رئاسة الرئيس «تورغت أوزال» الأراضي التركية وقاعدة إنجرليك للمساهمة في حرب تحرير الكويت من الغزو.

سعد النشوان

العلاقات الكويتية التركية..
ممتدة الجذور متعددة المجالات

قام المغفور له الشيخ جابر الأحمد الصباح، أمير البلاد الراحل، بزيارة لتركيا في نوفمبر ١٩٩١م، أعرب خلالها عن تقدير الكويت وامتنانه الشخصي لموقف تركيا من الغزو العراقي، وتضامنها مع الحق الكويتي.

ومع قدوم حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في تركيا في نوفمبر ٢٠٠٢م، تزايدت تدريجياً رغبة تركيا في تمتين العلاقات مع الدول العربية والإسلامية، ومن ضمنها دول مجلس التعاون الخليجي.

وقد تم تتويج الرغبة المشتركة بعدد من الزيارات المتبادلة لقيادة كل من الدولتين، سواء من قبل صاحب السمو أمير البلاد، أم من الرئيس السابق لتركيا «عبدالله جل»، والحالي «رجب طيب أردوغان»، التي أثمرت عن عدد من الاتفاقيات الاقتصادية والاستثمارية المشتركة.

تطور ملحوظ

وقد شكلت هذه العلاقات في السنوات الأخيرة تطوراً ملحوظاً، توج بقرار أصدرته الحكومة التركية برفع تأشيرة الدخول عن المواطنين الكويتيين.

أما التبادل التجاري بين الدولتين، فقد ارتفع إلى ١,٢٨٧ مليار دولار عام ٢٠١٦م؛ حيث وصلت قيمة الصادرات التركية إلى الكويت ٤٣١ مليون دولار، فيما بلغت قيمة الواردات ٨٥٦ مليون دولار، في حين وصلت قيمة المشروعات التي نفّذتها شركات المقاولات التركية في الكويت إلى ٦,٥ مليار دولار، وحجم الاستثمارات الكويتية المباشرة في تركيا إلى نحو ١,٧ مليار دولار.

وبلغ عدد الشركات الاستثمارية ذات رأسمال كويتي في تركيا ٢٨٠ شركة، ويمتلك بنك برقان أسهماً في أحد البنوك التركية، إضافة إلى ٣٨٨ فرعاً للبنك الكويتي التركي الذي يمتلك بيت التمويل الكويتي نسبة ٢٤,٦٢٪ من أسهمه.

ويعد البنك الكويتي التركي الذي تأسس عام ١٩٨٩م مثالاً بارزاً على نجاح التعاون الاقتصادي المصرفي بين البلدين والمساهمة في دعم الاقتصاد التركي، حيث استطاع

في عام ٢٠١٦م بلغ التبادل التجاري بين البلدين ١.٢٨٧ مليار دولار والاستثمارات الكويتية بتركيا ١.٧ مليار دولار

عدد الشركات الكويتية المستثمرة بشكل مباشر في السوق التركية نحو ٨٠ شركة تعمل في مختلف القطاعات

البنك احتلال المركز الأول على مستوى البنوك الإسلامية في تركيا من حيث حجم الأصول.

وخلال الزيارة الأولى لسمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح لتركيا عام ٢٠٠٨م، تم توقيع سبع اتفاقيات، شملت مجالات عدة؛ من بينها اتفاقية التعاون الاقتصادي، واتفاقية التعاون العلمي والفني، واتفاقية تشكيل لجنة عليا مشتركة للتعاون بين الكويت وتركيا على مستوى وزراء الخارجية، إضافة إلى اتفاقية التعاون في المجال الصحي، وأخرى في مجال تبادل الأيدي العاملة.

كما أبرم الجانبان في الزيارة الثانية لسموه لأنقرة في أبريل ٢٠١٣م ثماني اتفاقيات ثنائية في مجالات الطيران والنقل الجوي والتعليم العالي والبحث العلمي والصحة والثروة الحيوانية والتعاون في مجالات الصناعات الدفاعية والتعاون الثقافي والفني، إضافة إلى التعاون بين معهد سعود الناصر الدبلوماسي والأكاديمية الدبلوماسية التركية، واتفق الجانبان على إعفاء حمَلة جوازات السفر الدبلوماسية والخاصة من تأشيرة الدخول.

وتبادل الجانبان الكويتي والتركي على مستوى الوزراء توقيع العديد من الاتفاقيات خلال الفترة من عام ٢٠٠٨ إلى ٢٠١٣م، كان من أبرزها مذكرة تفاهم للتعاون في مجال تبادل الخبرات والتدريب والتعليم العسكري، وإجراء المناورات المشتركة بين القوات العسكرية لكلا البلدين.

القطاع الخاص

وللقطاع الخاص الكويتي مساهمات فعالة ومباشرة في السوق التركية؛ حيث يبلغ عدد الشركات الكويتية المستثمرة بشكل مباشر في السوق التركية نحو ٨٠ شركة تتعامل في مختلف القطاعات، ولا سيما القطاع المصرفي وقطاع مبيعات التجزئة.

وكذلك فإن الشركات التركية العملاقة فازت بعدة مناقصات مهمة في دولة الكويت، منها إنشاء مطار الكويت الدولي الذي أرسيت المناقصة لصالح شركة «ليماك» التركية التي تعمل في قطاع المطارات كمقاول ومدير، وكذلك تنفيذ البنية التحتية لمدينة المطلاع السكنية.

وعلى الصعيد السياحي، فإن الكويت تعد من أبرز الدول التي تتعامل سياحياً مع تركيا، وحسب إحصائية تركية فقد تجاوزت أعداد المواطنين الكويتيين الذين زاروا تركيا ١٨٠ ألف سائح في العام الماضي، و٣٠ ألفاً بالربع الأول من العام الحالي.■

رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد المذكور لـ«المجتمع» (٢-٢):

علاقاتنا عميقة مع سمو الأمير وشراكاتنا ممتدة مع مؤسسات الدولة

أجرى الحوار: جمال الشرقاوي
سعد النشوان

في الجزء الثاني من حواره مع «المجتمع» عقب اختياره رئيساً لجمعية الإصلاح الاجتماعي، أكد د. خالد المذكور دور جمعية الإصلاح الاجتماعي التاريخي في تربية الشباب على القيم الفاضلة، وغرس ما يبعدهم عما حرم الله تعالى، وأشار المذكور إلى أن الجمعية لها صلاتها وعلاقاتها الممتدة مع سمو الأمير وولي عهده وكبار المسؤولين في الدولة، وأن هناك زيارات متبادلة مع سمو الأمير وولي عهده.

وتطرق رئيس جمعية الإصلاح إلى علاقاته الممتدة بالعلماء منذ أن كان طالباً في الأزهر الشريف إلى أن اختاره سمو الأمير الشيخ جابر ضمن لجنة لتقديم مقترحات لتفعيل منظمة التعاون الإسلامي، وكذلك لقاءاته مع العلماء والدعاة في الندوات والمؤتمرات الدولية التي حضرها.

وسائل التواصل الاجتماعي لها دور مهم وعلى الدعاة وأهل الخير استثمارها لزيادة نشاطهم الدعوي

حول تجربته تطبيق أحكام الشريعة، ذكر د. المذكور أنها ليست بالخطب الرنانة، لكن بالتطبيق على مستوى المؤسسات، مشيراً إلى تجربته في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة، وأنها كانت تجربة ثرية، وسوف يستفيد منها في جمعية الإصلاح.

● نجدد الترحيب بكم، ونستكمل معكم هذا الحوار الذي تناولنا في الجزء الأول منه علاقتكم بجمعية الإصلاح قبل توليكم رئاستها ورؤيتكم المستقبلية في الجمعية، واسمح لنا في هذا اللقاء أن نتحدث عن الشباب ودور الجمعية التاريخي معهم.

- بداية، الكويت دولة فتية، وجمعية الإصلاح ربت الكثير من الشباب، وأنا على سبيل المثال أثرُ هذه التربية واضح في حياتي منذ مرحلة مبكرة من حياتي، صحيح أننا تربينا في بيتنا على التربية الإسلامية، وتعودنا على الذهاب إلى المسجد، ولكن جمعية الإصلاح فعّلت هذه التربية، لأنها تضع الشباب ضمن أولى أولياتها في النظام الأساسي، كنوع من المحافظة على المجتمع الكويتي ككل، حيث تغرس في نفوس الشباب ما يبعدهم عما حرم الله من منكرات ومخدرات ومسكرات ولهو غير مباح، وتحرص على تربية الشباب تربية إسلامية جيدة منتظمة، ولدينا مركز الشباب في الجمعية يقوم بدور مهم في هذا المجال، والتفاعل كبير مع هذه الأنشطة سواء رياضياً أم ثقافياً أم دعوياً، وهذا من أسس عمل الجمعية، وهي المحافظة على الشباب.

● هل هناك شراكة بين الجمعية ووزارات الدولة؟

- نعم، توجد شراكة من أجل الصالح العام، وفي القلب منها الحفاظ على الشعب الكويتي، فالشراكة ضرورية وهي قائمة بين مؤسسات الدولة سواء وزارات أو هيئات أو جمعيات.

فالجمعية لها صلات كبيرة ومباشرة مع سمو الأمير، وسمو ولي العهد في المناسبات واللقاءات، وهي حريصة على أمن هذا البلد، والبعد عما يثير الكراهية والأحقاد، وعلى أن يكون هذا البلد مستقراً.

والجمعية كان لها دور كبير ومؤثر أثناء الغزو العراقي، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي، فكوادرنا كانت متواجدة في الكويت للمحافظة على هذا البلد، وكذلك كوادرنا في الخارج، خصوصاً في تشكيل اللجان المختلفة، والاهتمام بقضية الأسرة، والعناية بعوائلهم، وكل الأنشطة التي تصب في صالح الشعب الكويتي.

● سمو الأمير، حفظه الله، يحمل على كاهله هموم الأمة، ودائماً ما يشرف الكويت في كثير من الملتقيات الدولية، كونه قائداً إنسانياً، فما رسالتكم لسموه؟

- سمو الأمير، حفظه الله ورعاه، لنا صلة وطيدة معه، في مناسبات مختلفة من المناسبات التي يحضرها، وهو رجل محنك، وله خبرة عالمية، باعتباره كان وزيراً للخارجية مدة طويلة، فاقت ٥٠ عاماً، وأصبح راسخاً في المجالات الدبلوماسية والدولية، وكان يحضر اجتماعات الأمم المتحدة المتعددة، ويلقي الكلمات باسم دولة الكويت، وطبيعة الكويت أنها واسطة خير في النزاعات الموجودة في المنطقة والإشكالات، وتحرص على السعي بالصلح بين الإخوة، وهذا من صلة الرحم، ونوع من

عطاء الكويت ليس وقفاً على اكتشاف النفط بل جذوره أقدم من ذلك

الانفتاح الذي حدث للمجتمع الكويتي كبير حيث عبرت إليه ثقافات ولا بد أن ينتج عن ذلك سلبيات

التوازن السياسي، كذلك هناك صندوق كويتي للتنمية لتقديم المساعدات للدول الفقيرة، وهناك زيارات متبادلة يقوم بها سموه لرؤساء وملوك وأمراء الدول.

وبحمد الله، توج هذا العمل من قبل الأمم المتحدة؛ حيث تم تتويجه أميراً إنسانياً، وما زال سموه -نسأل الله له الصحة والعافية- يقوم بهذه المهام، ومنها أخيراً حضور مؤتمر القمة في منظمة التعاون الإسلامي بإسطنبول، وخطابه الذي تفاعلت معه الجمعية، عندما أصدرت بياناً بهذه المناسبة.

فتعاوننا مستمر مع حضرة صاحب السمو الأمير، ومع سمو ولي العهد، ومع رئيس مجلس الأمة، وبالتالي تتم الزيارات المتبادلة بهذا المجال، وقد قمت أنا والأخ حمود الرومي بزيارة سمو الأمير للتهنئة في شهر رمضان، وكذلك زرنا سمو ولي العهد.

● الإعلام الإلكتروني، هل سيكون له بصمة في جمعية الإصلاح؟

- لا شك أن هذه الوسيلة تصل إلى الناس جميعاً، ولذلك قبل أن أكون رئيساً للجمعية، كوّنت شبكة علاقات عبر هذه الوسيلة، من خلال «تويتر» و«فيسبوك» و«واتساب»، وأتبادل المعلومات مع جميع أنحاء العالم، وأحياناً أبث منهجي وأنشطتي الدعوية في «تويتر»، ولذلك فنشاط الجمعية ورسالتها وأهدافها وما إلى ذلك سوف تأخذ مجالاً كبيراً في هذا الأمر.

وعليكم في «المجتمع»، تلك المجلة العريقة، أن تخوضوا في هذا المجال للوصول إلى عالم أكبر من المتابعين.

وأذكر في هذا المجال أن إحدى تغريداتي في الثالث من رمضان الماضي عن خطاب الأمير في مؤتمر إسطنبول، وصلته بما كان يحدث للمسجد الأقصى، وكيفية المحافظة عليه، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس، والدول التابعة لهذا الأمر، وصمود أهل غزة، كان لها صدى واسع، حيث وصل عدد تكرار التغريدة إلى ٦٠٠٠ «ريتويت» خلال عدة ساعات.

لذا فوسائل التواصل الاجتماعي لها دور مهم، وهي في متناول الجميع، ويجب أن تكون في الخير، ويجب على الدعاة وأهل الخير أن يقتنصوها لكي يزيدوا من نشاطهم الدعوي.

● هل لك أن تحدثنا عن علاقاتكم بكبار العلماء حول العالم الإسلامي؟

– عندما كنت أدرس في الأزهر، في الستينيات من القرن الماضي، كنت أذهب إلى كثير من العلماء، وأولهم علمائي الذين درسوني بالأزهر، وأذكر علمائي الذين درسونا في المعهد الديني، باعتبار أن المعهد الديني كان تابعاً للأزهر في برامجه ودراسته وأساتذته؛ حيث كانت هناك بعثة أزهرية تأتي كل أربع سنوات، ورئيسهم يسمى «شيخ المعهد»؛ حيث كانوا يدرسوننا في العلوم الشرعية والقرآن والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والتوحيد والمنطق، وكان يتم اختيارهم بعناية، حيث يمرون بامتحانات ولقاءات، ويتم اختيار الصفوة والثمرة اليانعة لتمثيل الأزهر في الخارج، والمشايخ الذين درسوني في المعهد ما زلت أذكرهم، رحمهم الله جميعاً، من بينهم الشيخ حسن مراد مناع، الذي مكث في الكويت بعد انتهاء بعثته من المعهد الديني، وكان له صدى في الفتاوى، وفي الإذاعة والتلفاز، وفي رئاسة هيئة الفتوى، إلى أن انتقل إلى رحمة الله قبل خمس سنوات تقريباً.

وفي الأزهر، بحمد الله، هناك من المشايخ الذين درّسوا لنا، من بينهم الشيخ عبدالغني عبدالخالق، رحمه الله، وأخوه الشيخ مصطفى عبدالخالق، وكانا من كبار العلماء؛ حيث أشرف الشيخ عبدالغني عبدالقادر على رسالتي في الدكتوراه، وكنت أزوره في بيته، وألتقي معه، وكذلك من المشايخ الذين كنا نزورهم الشيخ محمد أبو زهرة، رحمه الله، الذي استضافته جمعية الإصلاح الاجتماعي في بداية إنشائها، وألقى محاضرة جيدة في هذا المجال، وكذلك الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، وكانت الصلة وطيدة معه، وأسرتي وزوجتي كانت لها علاقة قوية مع زوجة الشيخ وبناته، كما أشرت في اللقاء السابق من هذا الحوار.

وعندما تخرجت وعدت للكويت اختارني سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الصباح، عندما تسلم رئاسة منظمة التعاون الإسلامي، أنا ود. عبدالعزيز كامل، رحمه الله – وكان مستشاراً للأمير، ورئيس جامعة الكويت، وكان من قبل وزيراً للأوقاف في مصر– للجنة لوضع الأسس التي اختارها الأمير لتقديمها إلى منظمة التعاون الإسلامي، وكنت أنا ود. عبدالعزيز كامل، ووكيل وزارة الخارجية الأخ سلمان الشاهين، وعيسى الشاهين (أبو عمار)؛ حيث وضعنا بعض البنود المقترحة، وكان مما اقترحته تفعيل مجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي يجمع الفقهاء في العالم الإسلامي، وكلفني سمو الأمير أن أتصل بأمين عام مجمع الفقه الإسلامي لكي يزور الكويت، وبالفعل زارها والتقينا مع سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد، رحمه الله، وشرح كل ما يتعلق بالفقه الإسلامي، وأقام دورة من الدورات في دولة الكويت، وكنت أنا عريف الحفل الذي حضره سمو الأمير في قصر بيان، وكان هناك حضور للعلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وبالتالي استمررت خبيراً في مجمع الفقه الإسلامي إلى الآن، وأحضر دوراته في جميع الدول سواء في السعودية، أو في الكويت، أو في غيرهما من الدول؛ وكانت له دورة في ماليزيا، وفي بروناي، وكثير من الدول.

كذلك لي لقاءات متعددة مع العلماء والدعاة في الندوات والمؤتمرات؛ فعلى سبيل المثال؛ أنا عضو في مجلس أمناء المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ومعي أخي د. عجيل النشمي؛ حيث كنت أجتمع مع الأطباء والفقهاء

خبرتي في لجنة تطبيق الشريعة سأستفيد منها في جمعية الإصلاح

مسألة تطبيق الشريعة ليست خُطباً رنانة بل هي عمل هادف يبدأ من المؤسسات

في قضايا الطب المعاصر، وكان من ضمن أعمدتها د. حسان حتحوت، ود. أحمد القاضي، وهم من الإخوة الكرام الذين وضعوا الأسس لتلك المنظمة، ورئيس المنظمة د. عبدالرحمن العوضي الذي كان وزيراً للصحة ووزيراً للتخطيط، والمنظمة ما زالت مستمرة بحمد الله تعالى.

تلك المنظمة تجمع الفقهاء والأطباء، ولها صلة وطيدة مع مجمع الفقه الإسلامي الدولي ورابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ومع الأزهر الشريف، في مجمع البحوث، وحضرت دورة لمجمع البحوث، حيث أخذوا بقرارات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، فيما يتعلق بقضايا الطب المعاصر في هذا المجال.

لذلك، فأنا بحمد الله لي صلة وطيدة مع هؤلاء العلماء وتلك المنظمات الإسلامية.

● **كانت لكم تجربتكم المميزة في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال أحكام الشريعة، فهل سيتم الاستفادة من هذه الخبرة في جمعية الإصلاح؟**

– قبل تشكيل لجنة العمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الكويت، كان الحديث عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وكيفيته، والتجارب والنماذج الموجودة، كنت أذيعها في برنامجي «مع الإسلام» في «تلفزيون الكويت»، وفي بعض محاضراتي، ولكن عندما نأتي إلى الشيء العملي، نكتشف أن مسألة تطبيق الشريعة ليست خُطباً رنانة، لكن بعد ذلك ما العمل؟ هنا يجب أن يكون العمل الهادف لتطبيق الشريعة الإسلامية يبدأ من المؤسسات؛ مثل إنشاء بيت التمويل الكويتي كمؤسسة اقتصادية إسلامية عملية، إنشاء بيت الزكاة، إنشاء كلية الشريعة، إنشاء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، هذه كلها أشياء عملية تترجم هذا العمل الموجود، والجمعيات الخيرية وكثرتها؛ فالكويت سباقة إلى هذا الأمر.

ولا شك أن هذه الخبرة واللقاءات الموجودة واللجان الموجودة، والعمل على الأرض، وما أنتجته اللجنة من معالجات وإنجازات لقضايا كثيرة؛ سواء قانونية أو شرعية أو اقتصادية أو إعلامية أو اجتماعية، وحتى على مستوى المرأة في المؤتمرات التي أقمناها في «قنوان دانية»، ودور المرأة في هذا المجال.. سوف أستفيد من كل ذلك، وأعطي خبرتي لجمعية الإصلاح في هذا المجال.

● **نرجو منكم في نهاية هذا اللقاء كلمة للمجتمع الكويتي.**

– المجتمع الكويتي، بحمد الله، مجتمع خيري وطيب وفيه من الصفات الحميدة التي تأصلت فيه منذ القدم، والكويت عطاؤها ليس وقفاً على اكتشاف النفط، وكثرة غناها، فعندما كانت الكويت فقيرة، ولا يجد الإنسان قوت يومه، كان هناك فضلاء ومحسنون، يتخفون ويضعون الطعام في الليل أمام البيوت الفقيرة، ليتفاجأ صاحب الدار بوجود المؤونة (الأرز أو التمر..) عند صلاة الفجر، ولا يعرف من الذي وضع ذلك الطعام.

والحمد لله كثرت الجمعيات الخيرية، وبدأت منذ زمن طويل، وأحد حكام الكويت كان يسمى «جابر العيش»، والعيش هو الأرز؛ حيث كان يقوم بطبخه وتوزيعه على الفقراء، حيث كان الناس في حالة فقر، وأنا شخصياً حضرت جزءاً من تلك الفترة، حيث كنا لا نأكل إلا الأرز، وأحياناً يكون سمكاً أو لبناً أو غيره من المؤونة القليلة التي كانت موجودة في ذلك الوقت.

وأحياناً عندما نجوع كنا نأكل تمرة يابسة نضعها في فمنا ونقوم بمصها، وكانت تغنينا إلى أن يتهيأ الطعام.

فالمجتمع الكويتي خير وطيب، ولا شك أن أي مجتمع له سلبياته وإيجابياته، خصوصاً الانفتاح الذي حدث للمجتمع الكويتي كان كبيراً جداً؛ حيث عبرت إليه ثقافات وحضارات، ولا بد أن ينتج عن ذلك سلبيات؛ لذا يجب أن نتجنب تلك السلبيات، ونطمح أن تكون هناك أسر خير في المجتمع الكويتي، ويمتاز الشعب الكويتي بوجود صلة قوية بين الحاكم والمحكوم، وهذا لا تجده في كثير من البلدان.

أذكر عندما زوّجت ابني في إحدى الصالات، وحضر الناس لتهنئتي، فاجأني أحد الناس بأن الشيخ صباح موجود في طابور التهنئة، فلم يتجاوز الطابور، ولم يأت بالحرس، ولا الأمن، وكان حينها وزير خارجية ونائب رئيس وزراء؛ فحكامنا دائماً تجدهم في الفرح مهنئين، وفي التعازي معزين ومواسين، وهذا كله من فضل الله سبحانه وتعالى.

في الكويت تجد الأصالة والطيبة، حيث الدواوين واللقاءات الأسبوعية واليومية، وفي شهر رمضان تمتلئ الشوارع بالسيارات للزيارات المتبادلة في هذا البلد الكريم المعطاء.

وسمو الأمير رغم كبر سنه -حفظه الله- ما زالت زياراته متعددة، وبرنامجه الرمضاني لا يتغير كل عام، وكذلك سمو ولي العهد، ومنذ عدة سنوات جاء ليهنئنا برمضان في ديوانية الأخ ناصر الصانع.

فحفظ الله الكويت وسمو أميرها وولي عهده الأمين.■

«الإصلاح» تضع الشباب ضمن أولى أولوياتها في النظام الأساسي للمحافظة على المجتمع الكويتي كله

جمعيتنا كان لها دور كبير أثناء الغزو العراقي سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي

ملف التعليم في الكويت إلى الواجهة..

تراجُع تصنيف جامعة الكويت أثار نواباً وأكاديميين

عاد ملف التعليم في الكويت إلى الواجهة خلال الأيام الماضية، وسط تساؤلات نيابية عن سبب تراجع تصنيف جامعة الكويت عالمياً للعام ٢٠١٨/٢٠١٩م وفق تصنيف «QS»، حيث بلغ المرتبة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ بعدما كان بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ في العام الماضي، وهذا يدل على تراجع الأداء الأكاديمي للجامعة، ويكشف العديد من مواطن الخلل في أدائها العام.

سامح أبوالحسن

الحريش والدلال يسألان وزير التربية عن تراجع ترتيب جامعة الكويت

الدويسان: جامعة الكويت غير قادرة على إصلاح نفسها ويجب وضع مؤشرات أداء حقيقية لتقلّد المناصب

عادل الصبيح: لا بد من وضع عناصر أساسية في الترقية وتجديد العقود للكويتي وغير الكويتي

كشف تقرير جهاز المراقبين الماليين في جامعة الكويت أن تصنيف الجامعة تراجع إلى مراتب متأخرة مقارنة بنظيراتها في دول مجلس التعاون الخليجي، في التصنيف السنوي لشركة «كواكواريلي سيموندس» البريطانية المتخصصة، بالرغم من ارتفاع تصنيفها إلى المركز الـ١٩ عربياً بعدما كانت في السنة السابقة في المركز الـ٢٤، وانتقالها كذلك إلى مجموعة الـ«٧٠٠-٦٥١» عقب ما كانت في مجموعة الـ«+٧٠١» في العام السابق.

وتطرق التقرير، الذي نشر أخيراً، إلى المستويات الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة، وبيّن أن النسبة الكبرى من أعضاء الهيئة هم من فئة مدرس بنسبة ٥٢٪ تقريباً، ويبلغ عدد المواطنين منهم ٣٢ ضعف أعداد نظرائهم من غير الكويتيين في الفئة ذاتها.

وأكد أنه سبق التشديد على ضرورة اتخاذ ما يلزم لمعالجة أسباب عزوف بعض المدرسين أعضاء هيئة التدريس عن القيام بأعمال البحث العلمي للارتقاء بمستوياتهم الأكاديمية، ووضع آليات تساعد على تذليل العقبات بما يكفل حثهم على البحث العلمي، وهي ملاحظة مستمرة منذ سنوات.

ولاحظ التقرير عدم تحقيق الغرض مما يخصص في ميزانية الجامعة للأبحاث العلمية، كتطوير المستوى العلمي لأعضاء هيئة التدريس، رغم ارتفاع ما يصرف على ذلك سنوياً، الذي ناهز نحو ٢٠ مليون دينار خلال السنوات الخمس السابقة، إذ ما تزال القاعدة العريضة منهم في فئة «مدرس» وبلا أي تقدم يُذكر.

وأشار إلى أن ميزانية الجامعة لعام ٢٠١٦/٢٠١٧م خلت من «بيان واضح» لما صُرف على الأبحاث العلمية، إذ تم توزيعه على «بنود مختصة» في أبواب المصروفات، بناء على ملاحظات أثارتها الجهات الرقابية في السابق.

معايير مدروسة

هذا، وقد وجه النائب محمد الدلال سؤالاً لوزير التربية وزير التعليم العالي عن مدى وجود معايير وخطط مدروسة ومعتمدة لرفع المستوى العلمي والأكاديمي والمهني لجامعة الكويت وفقاً لمعايير وأسس الجامعات المتقدمة والمتفوقة.

وطلب الدلال إفادته عما إذا كانت وزارة التعليم العالي أو مجلس جامعة الكويت درسا تراجع جامعة الكويت في المؤشرات العالمية خلال السنوات الخمس الماضية، وتساءل: هل اتخذت إجراءات لمعالجة هذا التراجع في المؤشرات العالمية؟ وهل يوجد في مجلس جامعة الكويت

أو الإدارة الجامعية لجامعة الكويت وحدة عمل أو فريق عمل متخصص يتولى مهام مراجعة درجة جامعة الكويت في المؤشرات العالمية، ومن ثم يقدم تقارير ومقترحات لمعالجة الأمر؟

وأضاف الدلال: هل يوجد في جامعة الكويت آليات أو نظم معتمدة لتقييم الأداء العلمي والبحثي والمهني والأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس تعادل المعايير العالمية المتقدمة في تقييم البحث العلمي والأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت؟

ومن جانبه، وجه النائب جمعان الحربش سؤالاً إلى وزير التربية والتعليم العالي د. حامد العازمي، قال فيه: ما صحة تراجع مركز جامعة الكويت من (٦٥١-٧٠٠) في عام ٢٠١٨م إلى (٨٠٠-١٠٠٠) في التصنيف الأخير على مؤشر «كيو إس» العالمي؟

وأضاف: في حال صحة الخبر، ما أسباب تأخر مركز جامعة الكويت عالمياً؟ وما أسباب التراجع الجديد؟ في حين تحسن تصنيف جامعة قطر ١٧ مركزاً من ٣٤٩ إلى ٣٣٢، وجاء في أسباب هذا التقدم التالي: تزايد عدد برامج الماجستير والدكتوراه التخصصية ذات الجودة العالية، ووجود كثير من النجاحات البحثية العلمية المتعددة، ووجود خريطة طريق طموحة للأبحاث تتضمن أولويات التنمية الوطنية في وجود مجموعة من الخريجين الموهوبين، ووجود مجموعة كبيرة من الكليات والبرامج المعتمدة دولياً التي تشهد مستوى عالياً من التميز والجودة، فهل قامت جامعة الكويت بمراعاة هذه الأسباب والمعايير التي تحسن من التصنيف العالمي؟

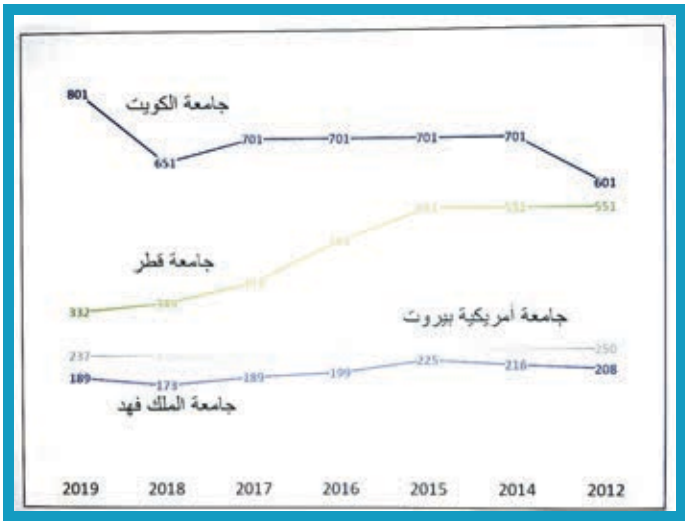

فيما كشف وزير النفط السابق عادل خالد الصبيح في تغريدة عبر صفحته الشخصية على «تويتر»، أن الحكومة أحد أهم أسباب تأخير التعليم، حيث قال: من الخطأ الاعتقاد بأن الميزانية سبب في تخلف الجامعة، هي أكثر من ذلك بكثير، ربما آخر الأسباب الميزانية، وتتحمل الحكومة المسؤولية الأولى والوزر الأكبر، ثم قيادة الجامعة، ثم أعضاء هيئة التدريس، وكذلك تدخل السلطة والمجلس والجو العام في الدولة.

وأكد الصبيح أهمية تقييم التدريس من حيث تحضير الأستاذ وحضوره وفعالية الشرح وفهم الطلبة وضبط سجل الدرجات والعدل والمساواة، وأن يقيّم من خلال الطلبة ولجان مستقلة، وأن تكون هذه الأمور عناصر أساسية في الترقية وتجديد العقود للكويتي وغير الكويتي.

الاهتمام بالعمل الأكاديمي

فيما قال الأستاذ في الهندسة الصناعية والنظم الإدارية أ.د. طارق الدويسان: إن التعليم في الكويت في خطر، حيث احتلت جامعة الكويت في اختبارات «التيمز» و«البيرلز» لطلبة التعليم العام المراتب الأخيرة، والآن مع التعليم العالي وهم في الأخير، مستغرباً من البعض ممن يقول لك: «هدّي شفيك منقهر»!

وطالب الدويسان وزير التربية ورئيس جامعة الكويت بتفسير هذا التراجع، مشيراً إلى أن تصنيف جامعة الملك فهد والجامعة الأمريكية في بيروت مستقر بتصنيف جيد، أما جامعة قطر فقد كان تصنيفها ضعيفاً في عام ٢٠١٢م، وتقدمت حتى وصلت لمستوى جيد في التصنيف الأخير، أما تصنيف جامعة الكويت فهو سيئ بشكل عام وتدهور في هذا التصنيف!

وأضاف الدويسان أن مغانم العمل الإداري في جامعة الكويت من راتب مضاعف وتفرّغ قيادي أدى للتكالب على المناصب الإدارية والصراعات، وعزوف عن البحث العلمي، فلا توجد جامعة في العالم تقوم بتقديم العمل الإداري على العمل الأكاديمي والبحثي؟ مطالباً بأن يكون هناك عرض موضوعي متوازن لإصلاح الجامعة؛ يبدأ من الإدارة والأساتذة أنفسهم باستعدادهم لتبني إصلاحات فيهم، وتنتهي بطلب وقف التدخلات السياسية وضبط عدد المقبولين.

مراجعة السياسات

وأشار الدويسان إلى أن جامعة الكويت أثبتت أنها غير قادرة على إصلاح نفسها، مطالباً بأن تتم مراجعة شاملة للسياسات واللوائح والمُمارسات، وأن توضع مؤشرات أداء حقيقية لتقلّد المناصب، ومُساءلة المُقصرين والفاسدين، ففي جامعة الكويت يتقلد الدكتور عملاً إدارياً ٤ سنوات بغض النظر عن أدائه الإداري، ويُمنح سنتين تفرّغاً، ويُدفع له ضعف راتبه، مبيناً أن إجمالي ذلك لا يقل عن ١٤٤ ألف دينار، ويُمكن أن يصل لأكثر من ١٩٢ ألف دينار، ومن ثم يعود من تفرغه لا يُساءل عن شيء؛ مما أدى إلى وجود مذابح على العمل الإداري!

ووضح الدويسان روشتة لعلاج ذلك، حيث قال: يمكن علاج هذا الأمر من خلال التواصل بشكل وثيق مع المعنيين ببرامج التصنيف الثلاثة العالمية، وتحديد مؤشرات كل معيار من معايير درجة التصنيف، ووضع مبادرات قصيرة ومتوسط وطويلة لتحسين الأداء، وربط تقييم مدير الجامعة ونوابه والعُمداء بتحقيق مُستهدفات محددة لمقاييس مرتبطة بمعايير التصنيف، وفي حال شعرت قيادات الجامعة أن الإمكانات والصلاحيات المتوافرة لديها لا تمكنها من الإنجاز؛ عليها أن تعتذر، فلربما غيرها قادر على الإنجاز في ظل الظروف القائمة.■

مقال

بقلم: سعد مرزوق العتيبي
متخصص في التسويق ومهتم بالعمل الخيري

«عولمة» العمل الخيري الكويتي

لقد أصبح من المهم نقل التجربة الكويتية الخيرية من المستوى المحلي في التواصل مع المتبرعين وتلبية رغباتهم ودراسة دوافعهم وتصميم المنتجات بما يتناسب من قدراتهم الاقتصادية إلى الاتجاه العالمي، من خلال تحويل مؤسسات العمل الخيري إلى مؤسسات دولية عابرة للحدود الوطنية.

اليوم وبعكس أي وقت آخر من تاريخ العالم، هناك نمو اقتصادي عالمي ملحوظ، ولأول مرة في تاريخ التسويق العالمي، فإن الأسواق في كل مناطق العالم هي أهداف محتملة لكل مؤسسة خيرية تقريباً على مستوى التكنولوجيا الفائقة والمستوى المنخفض من الخدمات التي يحتاجها العالم؛ مما يستوجب العمل المشترك والوصول لأكبر شريحة ممكنة من المتبرعين في كل بلد.

في المقالة الشهيرة للبروفيسور «شيورد ليفت» التي نشرت في مجلة «الأعمال» لجامعة هارفارد في عام ١٩٨٣م، التي أثارت الكثير من الجدل حينها حول التسويق العالمي، وكانت بداية الاهتمام بهذا المجال، وكان عنوان المقالة «عولمة الأسواق»، وذكر «ليفت» في المقال أن المسوقين واجهوا ما أسماه بالقرية العالمية المتجانسة، ومن ثم نصح المؤسسات والشركات بتطوير منتجات عالمية موحدة عالية الجودة تقوم بتسويقها في كل أرجاء العالم.

عندما ترسم أي منظمة مخططاتها للتوسع في السوق العالمية، فإنها غالباً ما تكتشف أن الدخل هو العامل الاقتصادي الوحيد في تحديد السوق المستهدفة، ومع ذلك تأتي الرغبة والدافع النفسي كعنصر يمكن التنبؤ به أو تحفيزه لدى المتبرعين حسب ظروف وثقافة كل بيئة.

وهذا يجعلنا نعيد النظر في البيئة القانونية لمؤسسات العمل الخيري، ومدى قدرة القانون الخيري الجديد لاستيعاب متطلبات هذا الانتقال، مستذكرين الدور المهم للكويت كمركز للعمل الإنساني؛ مما يضفي أن تكون هناك رؤية لهذا العمل الخيري ليكون عالمي الإطار على مستوى خدمة المتبرعين، علماً أن هناك رغبات عديدة تصلنا من عدة دول بطلب الخدمة الخيرية لهم لما رأوْا من تميز في الأداء والمتابعة ووجود بيئة تنافسية تحسن من جودة المنتج الخيري الكويتي.

إن الرصيد الذي تملكه الكويت بمؤسساتها الخيرية الرائدة يجعل من فكرة عولمة العمل الخيري الكويتي مقبولة بل ومستحقة، والذي يطلع على تاريخ العمل الإنساني يجد أن أهم المؤسسات الدولية وهي الصليب الأحمر مثلاً يجد أنها مؤسسة انطلقت من رجل سويسري مع مجموعة سويسرية، هي اليوم من أعرق المؤسسات الدولية تجاوز عمرها ١٥٠ عاماً، وهناك مؤسسات دولية أخرى نشأت محلية بسيطة ثم أصبحت عالمية.

والمؤسسات الخيرية الكويتية يمكننا أن نجعلها منظمات عالمية، ناهيك عن الفوائد الكبيرة التي يمكن أن تجنيها تلك المؤسسات من ناحية زيادة الإيرادات ودعم السوق الخيرية بمشاريع نوعية تنموية تساهم بشكل مختلف نحو التصدي للفقر المدقع وتحقيق الأهداف الإنمائية للأمم المتحدة.■

واقع الاقتصاد العربي..

مشكلات وحلول

الاقتصاد عصب الحياة؛ فمن على قضبانه ينطلق قطار التنمية، وبازدهاره تقوى الأمم والحضارات، وتمتد سيطرتها على غيرها، وقد فقه هذا الأمر أعداء الأمة من اليهود والمسيحيين؛ فعملوا على تقوية دعائمهم الاقتصادية؛ حتى تمكنوا من بسط نفوذهم في مفاصل العالم كله شرقه وغربه، وتحكموا في قراراته، وأصبح لهم حضورهم في تقرير مصيره.

وفي مقابل هذه السيطرة الصهيونية على الاقتصاد، هناك تراجع كبير في العالم العربي والإسلامي، رغم كثرة الموارد وتعددها؛ فلا تخفى مظاهر الفقر والبطالة والكساد والتضخم التي تضرب معظم الدول العربية والإسلامية، رغم أن الإسلام يحض على العمل والسعي وعلى امتلاك القوة بكل أنواعها، ومنها القوة الاقتصادية.

ولعل أسباب هذا التراجع تختلف حولها التفسيرات والتأويلات، بين الاقتصاديين الذين يرجعون الأمر إلى عوامل حسية واقتصادية بحتة، وعلماء الدين الذين يرجعونها إلى البعد عن الله تعالى وعدم التمسك بكتابه وسُنة نبيه، وانتشار الفواحش والمنكرات التي تنزل النقم وتحجب النعم.

ولكن النظرة الوسطية للأمر يجب ألا تغفل أحد الأمرين على حساب الآخر؛ بل لا بد من الجمع بينهما، ولنا في الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة والأسوة الحسنة؛ حيث كان يجمع بين الظاهر والباطن، والحسي والمعنوي، والديني والدنيوي.

وفي هذا الملف، تلقي «المجتمع» الضوء على هذه المشكلة وأبعادها من خلال وجهتي النظر الاقتصادية والدينية، مستلهمة نموذجاً من نماذج مفكري الإسلام المعاصرين في هذا الأمر.■

واقع الاقتصاد العربي..
مشكلات وحلول

التنمية الاقتصادية في الدول العربية.. بين الواقع الملموس والشعارات المرفوعة

تعد قضية التنمية الاقتصادية من القضايا التي هي محل اهتمام الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء، وقد بدا الاهتمام بالتنمية واضحاً من خلال اعتبارها فرعاً مستقلاً من فروع علم الاقتصاد يعرف باسم «اقتصاديات التنمية»، فضلاً عن اهتمام المؤسسات الدولية بها سواء من حيث مدلولها أو وضع المؤشرات اللازمة لقياسها، كما اتسمت الدراسات والتطبيقات الخاصة بها بالديناميكية، فلم تعد مقصورة على التنمية الاقتصادية، بل امتدت إلى الاهتمام بالتنمية الشاملة، والتنمية المستدامة، والتنمية البشرية، وإيلاء أهمية لجودة حياة البشر.

بقلم: د. أشرف دوابه

التنمية الاقتصادية تعني تغيراً هيكلياً يؤدي إلى زيادة معدل نمو الدخل أو الناتج القومي الحقيقي، وتتفق التنمية الاقتصادية مع النمو الاقتصادي في أن كليهما يعني زيادة الدخل أو الناتج القومي الحقيقي، إلا أنها تتطلب شرطاً إضافياً؛ وهو التغير الهيكلي في النشاط الاقتصادي.

التغير الهيكلي يعني تغير هيكل النشاط الاقتصادي في بلد ما، والنشاط الاقتصادي يقاس بحجمه أو بهيكله، ويعبر عن حجم النشاط الاقتصادي بالدخل القومي أو الناتج القومي، وكذلك حجم القوة العاملة المستخدمة في الاقتصاد، أما هيكل النشاط الاقتصادي فهو يعكس توزيع النشاط الاقتصادي بين القطاعات الرئيسة من صناعة وزراعة وخدمات.

والتنمية بذلك تعني تغييراً نوعياً في بنية الاقتصاد يتأتى بتنوع وتعدد الأنشطة الاقتصادية والمكانة المتزايدة التي يأخذها تدريجياً قطاع الصناعة والصناعة التحويلية بالذات، ومن ثم فإن التغير الهيكلي هو شرط أساس لتحقيق التنمية الاقتصادية، وهو الذي يميزها عن النمو الاقتصادي، وهذا التغير الهيكلي يرتبط تحقيقه بعدد من السنوات؛ أي في الأجل المتوسط والطويل، كما استخدم مفهوم التنمية الاقتصادية في الفكر الاقتصادي لمجموعة البلدان النامية ليعني زيادة الدخل القومي الحقيقي للمجتمع على مدى الزمن بمعدلات لا تسمح فقط بزيادة متوسط نصيب الفرد من هذا الدخل، وإنما تعمل أيضاً على تضييق أو سد فجوة التخلف الاقتصادي بين المجتمع والمجتمعات الأكثر تقدماً، وهو ما يتضمن حدوث تغيرات جذرية في هيكل النشاط الاقتصادي القومي سواء نظرنا إلى هذا النشاط من جهة الناتج أو التوظف أو ميزان المدفوعات.

> التغير الهيكلي شرط أساس لتحقيق التنمية الاقتصادية وهو الذي يميزها عن النمو الاقتصادي

وبإلقاء نظرة على واقع التنمية في الدول العربية، نجد أن أجيالاً عاشت وماتت بحثاً عن هذه التنمية، وعجلتها التي تغنت بعض الدول العربية بتحريكها، ولكن كان السراب نتيجتها، إنه لا ينكر أحد تميز بعض الدول العربية في ارتفاع مستوى دخول أفرادها، وهي على وجه التحديد دول الخليج، ولكن لا يمكن وضعها في مصاف الدول التي حققت تنمية لاقتصادها، حيث إنها تعتمد في دخلها على إنتاج ريعي ممثل في النفط، ولا تقوم بتوفير حاجتها من الإنتاج، فتعتمد اعتماداً شبه كلي في غذائها وملبسها وكافة حاجاتها على غيرها، بل إن سياسة «البترودولار» قضت على أي توجه فعال للتصنيع فيها؛ فهي تبيع البترول بالدولار، وتعتمد على استيراد حاجتها من الدول المتقدمة المستوردة للبترول، وتشتري بما لديها من فوائض دولارية سندات أمريكية، ولا

يختلف وضع باقي الدول العربية عن وضع الدول الخليجية إلا في انخفاض مستوى الدخول مع اعتمادها نفس الشيء على اقتصاد ريعي.

ومن خلال إيلاء نظرة فاحصة لآخر بيانات مجمعة متاحة عن الدول العربية، يتكشف بوضوح ما وصلت إليه حال التنمية الاقتصادية لديها؛ حيث تشير بيانات التقرير الاقتصادي العربي الموحد (عام ٢٠١٧م) لصندوق النقد العربي إلى تراجع الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية في الدول العربية من حوالي ٢٤٣٧ مليار دولار عام ٢٠١٥م إلى حوالي ٢٣٤٧ مليار دولار عام ٢٠١٦م، وبالتالي انخفض متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي من حوالي ٦٨٣٢ دولاراً إلى حوالي ٦٤٢٠ دولاراً، كما تراجع معدل نمو الناتج المحلي بالأسعار الثابتة من حوالي ٣,٢٪ عام ٢٠١٥م إلى حوالي ١,٧٪ عام ٢٠١٦م، وفي دول مجلس التعاون الخليجي تراجع هذا المعدل من حوالي ٤٪ عام ٢٠١٥م إلى حوالي ٢,٥٪ عام ٢٠١٦م.

ومن خلال نظرة فاحصة كذلك إلى حصة قطاعات النشاط الاقتصادي من الناتج المحلي، وما حدث فيها من تراجع، يعكس الوضع ما آلت إليه الدول العربية التي تتغنى بالتنمية، فقد أظهرت مؤشرات الهيكل القطاعي للناتج المحلي الإجمالي، أن قطاع الزراعة يقدر فيه الناتج الزراعي بالأسعار الجارية بحوالي ١٤٢,١ مليار دولار في عام ٢٠١٦م بنسبة ٥,٨٪ من الناتج المحلي الإجمالي بانخفاض بنحو ١,٤٪ مقارنة بالعام ٢٠١٥م، وبلغ نصيب الفرد من الناتج الزراعي حوالي ٣٨٩ دولاراً خلال عام ٢٠١٦م، وهو ما يعكس بصورة عامة انخفاض مساهمة القطاع الزراعي في الناتج المحلي الإجمالي رغم استيعابه نسبة عالية من قوة العمل تبلغ حوالي ٢٠٪، ويرجع ذلك بصفة رئيسة إلى انخفاض نسبة الأراضي المستغلة للإنتاج الزراعي حيث تمثل نحو ٦٠٪ من مساحة الأراضي القابلة للزراعة، فضلاً عن أزمة المياه، والفجوة التكنولوجية بين مخرجات البحوث الزراعية من جهة، ومتطلبات التنمية الزراعية من جهة أخرى.

أجيال انتظرت التنمية التي تغنت بعض الدول العربية بتحريك عجلتها لكن كان السراب هو النتيجة

الناتج المحلي الإجمالي بالدول العربية تراجع من ٢٤٣٧ مليار دولار عام ٢٠١٥م إلى ٢٣٤٧ ملياراً عام ٢٠١٦م

لو نظر الإنسان إلى الزيادة السكانية بمنظور اقتصادي سليم لوجدها نعمة لا نقمة

وبالنسبة لقطاع الصناعة، فقد أظهرت مؤشرات الهيكل القطاعي للناتج المحلي الإجمالي أن الناتج الصناعي الإجمالي للدول العربية بلغ في عام ٢٠١٦م حوالي ٧٠١ مليار دولار، وبنسبة ٢٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي العربي، مقارنة بنسبة بلغت ٣٢,٩٪ خلال عام ٢٠١٥م، وقد سجلت مساهمات الصناعات الاستخراجية في عام ٢٠١٦م تراجعاً ملحوظاً في الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية، بلغت حوالي ١٨,٨٪ مقابل ٢١,٩٪ خلال عام ٢٠١٥م، وذلك نتيجة للاستمرار في انخفاض أسعار النفط.

أما بالنسبة للصناعات التحويلية التي تعد كاشفاً مهماً للتنمية الاقتصادية، فقد أظهرت مؤشرات أدائها نتائج سلبية، حيث تراجعت القيمة المضافة من ٢٦٨,١ مليار دولار في عام ٢٠١٥م إلى ٢٥٩,٥ مليار دولار في عام ٢٠١٦م؛ أي بنسبة ٣,٢٪، وبلغت نسبة مساهمات الصناعات التحويلية خلال عام ٢٠١٦م نحو ١١,١٪ من الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية، وهو ما يبرز ضعف مكونات التنمية الاقتصادية في الدول العربية، علماً أن قطاع الصناعة برمته يوفر فرص عمل لنحو ١٧,٨٪ من إجمالي القوى العاملة العربية، وبلغ نصيب الفرد من الناتج الصناعي لعام ٢٠١٦م حوالي ١٩١٧ دولاراً.

تشوّه واضح

إن الواقع يكشف أن هيكل الاقتصاد العربي يُظهر تشوهاً واضحاً في القطاعات الإنتاجية الرئيسة، لا سيما قطاع الصناعة والصناعة التحويلية بصفة خاصة، وهو ما يبرز ريعية الاقتصاد العربي واعتماده بصفة رئيسة في جله على الصناعات الاستخراجية التي في جلها تتمثل في النفط والغاز، فضلاً عن قطاع الخدمات الذي يستحوذ على النصيب الأكبر من الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية، وكل ذلك يعكس بصورة واضحة عدم قدرة الدول العربية على خلق تنمية مستدامة يستفيد منها الجيل الحالي ويورثها لما بعده من أجيال.

ورغم ما سعت إليه العديد

(نسبة مئوية)

	هيكل الناتج المحلي الإجمالي				معدل النمو السنوي بالأسعار الجارية*		
	2005	2010	2015	2016	2005 - 2010	2014 - 2015	2015 - 2016
قطاعات الإنتاج السلعي منها:	60.0	57.8	47.8	45.4	11.4	-25.7	-8.4
الزراعة	6.0	6.2	5.9	6.1	12.8	2.0	-1.4
الصناعات الاستخراجية	37.6	34.3	21.9	18.8	10.2	-43.3	-17.4
الصناعات التحويلية	9.6	9.7	11.0	11.1	12.3	0.6	-3.2
باقي قطاعات الإنتاج	6.7	7.7	8.9	9.5	15.3	0.7	2.5
اجمالي قطاعات الخدمات منها:	39.1	41.5	51.7	53.5	13.6	5.5	-0.3
الخدمات الحكومية	10.3	11.3	14.9	15.5	14.5	9.3	0.4
صافي الضرائب غير المباشرة	1.1	0.8	0.9	1.4	7.1	-281.0	58.7
الناتج المحلي الإجمالي	100.0	100.0	100.0	100.0	12.2	-11.1	-3.7

جدول: الهيكل القطاع للناتج المحلي الإجمالي للدول العربية أعوام ٢٠٠٥ و٢٠١٠ و٢٠١٥ و٢٠١٦م

واقع الاقتصاد العربي.. مشكلات وحلول

مساهمة القطاع الزراعي في الناتج المحلي الإجمالي انخفضت رغم استيعابه نسبة عالية من قوة العمل تبلغ ٢٠٪

من الدول باسم برنامج الإصلاح الاقتصادي رفع شعار التنمية، لكن هذا الإصلاح كان إصلاحاً شكلياً خلا من المضمون وتمسك بالمظاهر، بل رهنت بعض الدول اقتصادها وموادرها لصندوق النقد الدولي، والتسليم التام لروشتة الصندوق، رغم نواياه الاستعمارية الناعمة المعروفة، وتجاربه المميتة لأكثر من ستين دولة على مستوى العالم، ذلك الصندوق الذي يعمل لصالح الكبار، كما وصفه العالم الاقتصادي المعروف «إستجلز» (Stiglitz)، الأستاذ الجامعي والنائب السابق لرئيس البنك الدولي للشؤون الاقتصادية، والحاصل على جائزة «نوبل» في الاقتصاد.

لقد أدى اتباع هذه السياسات إلى زيادة في مستويات الفقر في العديد من الدول العربية، لا سيما في ظل انخفاض مخصصات الحماية الاجتماعية والتعليم والصحة وتأثير ذلك على إنتاجية الفرد، فما زالت الأمية في الدول العربية مرتفعة، حيث تقدر نسبتها بين البالغين (١٥ سنة فما فوق) في عام ٢٠١٦م بحوالي ١٩,٥٪، وبذلك تفوق مثيلتها في جميع الأقاليم بالعالم، كما أن نسبة الإنفاق على التعليم إلى الدخل القومي الإجمالي وإن كانت تمثل نسبة ٤,٥٪ في عام ٢٠١٥م وهي قريبة من النسبة العالمية التي تقدر بحوالي ٤,٦٪، فإن العالم العربي يعاني من انخفاض جودة التعليم وعدم إيلاء العناية الكافية بالبحث العلمي، حتى خلت جامعاته من أفضل ١٠٠ جامعة على مستوى العالم، وفقاً لتصنيف شنغهاي للعام ٢٠١٦م.

وبالنسبة للصحة، فقد بلغت نسبة الإنفاق عليها من إجمالي الناتج المحلي في الدول العربية في عام ٢٠١٥م حوالي ٥,٣٪، وهي نسبة تقل كثيراً عن المتوسط العالمي البلغ حوالي ٩,٩٪، وما زالت الخدمات الصحية تفتقر في العديد من الدول العربية إلى توافر الجودة والمهارة، وهو ما يدفع السكان

العرب للسفر للعلاج بالخارج.

ومن العجب أن نجد بعض المتفيقهين ما زالوا يحمّلون الإخفاق في التنمية للزيادة السكانية، هذه الزيادة التي لو نظر إليها الإنسان بمنظور اقتصادي سليم لوجدها نعمة

القيمة المضافة للصناعات التحويلية تراجعت من ٢٦٨.١ مليار دولار عام ٢٠١٥م إلى ٢٥٩.٥ مليار عام ٢٠١٦م

اعتماد الاقتصاد العربي على الصناعات الاستخراجية يعكس عدم قدرته على خلق تنمية مستدامة يُستفاد منها حالياً ومستقبلاً

لا نقمة، فالكون كله مسخر للإنسان، وفيه من الموارد ما يكفيه، وما عليه إلا السعي، أما الرزق فهو وعد من الرحمن للساعين، كما أن الله تعالى خلق للإنسان فماً واحداً ويدين، واليدان لهما القدرة على إطعام الفم بالسعي، كما أن الإنسان هو من يكتشف آلاف الأفكار التي يمكنها أن تخلق قدرة على فتح مجالات للعمل والإنتاج وتحقيق قيمة مضافة لا يستهان بها.

لقد آن لتجارب الإصلاح في الدول العربية أن تخرج من سجن التركيز على الطلب والسياسة النقدية والمالية إلى رحاب السياسة الهيكلية بتنويع الهياكل الاقتصادية، والتركيز على القطاعات عالية القيمة المضافة والقطاعات التصديرية وقطاع الاقتصاد المعرفي، وفتح المجال للقطاع الخاص لممارسة دوره التنموي بمسؤولية، والاستفادة من الاستثمار الأجنبي وتقنيته وفقاً للمصالح المتبادلة دون التفريط في الثروات وسيادة البلاد والعباد، مع توفير حاضنة حقيقية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة بصورة تمكنها من المساهمة بفعالية في التصدير وخلق فرص عمل، مع إصلاح التعليم وربطه بمخرجات سوق العمل، وتفعيل البحث العلمي، والخدمات الصحية، وكل هذا لا بد أن يكون في ظل حاضنة كبرى تحترم الحرية السياسية ومن ثم الحرية الاقتصادية، وترسي مبادئ العدالة والشفافية والنزاهة والحوكمة.■

بطالة الشباب في الدول العربية..
الأزمة والعلاج

تعد مشكلة البطالة من أهم التحديات التي تواجهها الدول المتقدمة والنامية على السواء، وفي القلب منها بطالة الشباب نبض الأمة، وسر قوتها، وراسم مستقبلها.

وقد كشف التقرير الاقتصادي العربي الموحد (٢٠١٧م) لصندوق النقد العربي عن وصول عدد العاطلين عن العمل في الدول العربية في عام ٢٠١٦م إلى ٢١,٢ مليون عاطل، بما يمثل ١٤,٩ من إجمالي قوة العمل العربية، كما أن معدلات البطالة في شريحة الشباب (الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ و ٢٤ سنة) هي الأعلى في العالم، حيث يقدر متوسط معدل بطالة الشباب في الدول العربية ككل عام ٢٠١٦م بحوالي ٢٦٪، وبطالة الشباب بين الإناث حوالي ٣٨٪، مقارنة بحوالي ٢٣٪ بالنسبة للذكور.

تتخطى نسبة الشباب في إجمالي العاطلين عن العمل عتبة ٥٠٪ في سبع دول عربية، كما تفوق معدلات البطالة بين الإناث في شريحة الشباب معدلات البطالة لدى الذكور من الشباب من ضعف إلى ثلاثة أضعاف في عشر دول عربية، وتتركز بطالة الشباب بصفة خاصة في أوساط المتعلمين الذين يشكلون في بعض الدول العربية نسبة تصل إلى حوالي ٤٠٪ من إجمالي العاطلين عن العمل، وفي الداخلين الجدد لسوق العمل الذين يواجهون تحديات ملموسة في الحصول على فرص وظيفية.

كما أن بطالة الشباب في الدول العربية تتسم بأنها ظاهرة طويلة الأجل، وهو ما يعكسه ارتفاع عدد العاطلين عن العمل لفترة تزيد على عام، حيث تتراوح نسبتها ما بين ٤٠ – ٧٠٪ من مجمل العاطلين عن العمل في بعض البلدان العربية، ويظهر الجدول التالي الوارد في التقرير للاقتصادي العربي الموحد (عام ٢٠١٧م) لصندوق النقد العربي صورة واضحة عن معدلات البطالة في الدول العربية بصفة عامة وبطالة الشباب بصفة خاصة.

وبالنظر إلى أسباب استفحال بطالة الشباب في الدول العربية، نجد أنها ترجع لعوامل متعددة، يأتي في مقدمتها انخفاض وتيرة النمو الاقتصادي لا سيما بعد انخفاض أسعار النفط، وفي الوقت نفسه عدم شمولية النمو المحقق لكافة شرائح المواطنين، وميله لشرائح خاصة، فضلاً عن التوجه الملحوظ نحو التراكم الرأسمالي على حساب الصناعات كثيفة العمل، إضافة إلى الزيادة

واقع الاقتصاد العربي.. مشكلات وحلول

في أعداد الخريجين لا سيما حملة المؤهلات العليا، ووجود فجوة كبيرة بين متطلبات سوق العمل ومخرجات أنظمة التعليم، والاتجاه نحو الخصخصة بصورة غير رشيدة وضح فيها التضحية بالعمال لصالح المستثمرين، وهو ما ترتب عليه أيضاً انحسار دور القطاع العام وقدرته على استيعاب المزيد من العمالة، كما أن البنية التشريعية في جلها بنية شكلية كان لها دور في تقنين الفساد وانتشار المحسوبيات، فضلاً عن عدم ربط القطاع الخاص بمسؤوليته الاجتماعية، وفي بؤرتها المساهمة في حلحلة بطالة الشباب.

كل هذا يطرح آلية للخروج من أزمة البطالة لا سيما بطالة الشباب التي تعد قنبلة موقوتة، ويمكن الاستفادة من التجارب الدولية في علاج تلك المشكلة.

٣ قنوات رئيسة

تناول صندوق النقد العربي -بناء على تجارب العديد من دول العالم- نوعين من السياسات لزيادة مستويات التشغيل وتوفير المزيد من فرص العمل لتخفيض معدلات البطالة خاصة بين أوساط الشباب، وهما: سياسات التشغيل النشطة، وسياسات التشغيل غير النشطة، وتشمل تدابير سياسة التشغيل النشطة عدداً من الآليات الداعمة لتشغيل العاطلين عن العمل عبر ٣ قنوات رئيسة، تتمثل في:

١- البرامج الداعمة لزيادة مستويات المعروض من العمالة الماهرة كماً ونوعاً، وذلك عبر عدد من البرامج التي تستهدف تطوير أنشطة التعليم والتدريب بما يشمل التعليم التقني والتدريب المهني.

عدد العاطلين بالدول العربية وصل إلى ٢١.٢ مليون عاطل عام ٢٠١٦م بما يمثل ١٤.٩ ٪ من قوة العمل العربية

نسبة الشباب من إجمالي العاطلين عن العمل تتخطى ٥٠ ٪ بـ ٧ دول عربية

زيادة الخريجين ووجود فجوة كبيرة بين متطلبات سوق العمل ومخرجات أنظمة التعليم من أسباب البطالة

٢- برامج زيادة مستويات الطلب على العمالة، وذلك بتسهيل توليد الوظائف، بما يتضمن برامج الأشغال العامة والإعانات المالية المقدمة للقطاع الخاص لدعم الأجور والتشغيل، بالإضافة إلى برامج توطين الوظائف وتأسيس المشاريع الصغيرة والمتوسطة والحاضنات التكنولوجية.

٣- التدابير الهادفة إلى التنسيق بين جانبي العرض والطلب وزيادة كفاءة سوق العمل، اعتماداً على عدة مؤسسات وآليات، مثل مكاتب التوظيف والمساعدة في البحث عن عمل، من خلال زيادة تدفق المعلومات المتعلقة بسوق العمل سواء على صعيد الطلب أو العرض، ومن ثم تقليص الفترة الزمنية اللازمة للبحث والحصول على فرص عمل مناسبة، كما تساهم تلك الآليات في مراقبة سير سوق العمل وتحسين أدائه.

ومن ناحية أخرى، فإن سياسات التشغيل غير النشطة تنصب على تدابير تقديم إعانات البطالة والتقاعد المبكر.

كما أن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) وضعت خطة عمل لمعالجة قضية البطالة بين الشباب في المديين القصير والمتوسط، والمدى الطويل، وقد تمثلت هذه العناصر في المدى القصير والمتوسط فيما يلي:

- تبني السياسات الاقتصادية الكلية الكفيلة بمعالجة ضعف مستويات الطلب الكلي وتعزيز خلق الوظائف.
- تقديم الدخل الكافي لدعم الشباب العاطلين عن العمل لحين تحسن أوضاع سوق العمل وفق ضوابط والتزامات محددة.
- تبني تدابير فعالة هادفة إلى تعظيم العائد من برامج التشغيل.
- معالجة القيود الخاصة بتشغيل الشباب من أصحاب المهارات المحدودة.
- تشجيع رجال الأعمال وأصحاب المصانع على الاستمرار والتوسع في برامج التدريب الداخلي وبرامج التلمذة الصناعية.

كما تتمثل العناصر الأساسية لتعزيز فرص عمل الشباب على المدى الطويل فيما يلي:

- تعزيز نظام التعليم والعمل على إعداد وتجهيز الشباب لسوق العمل.
- تعزيز دور وفعالية التعليم والتدريب المهني للشباب.
- مساعدة ودعم الشباب للالتحاق بسوق العمل.
- إعادة تشكيل مؤسسات سوق العمل لتسهيل الحصول على فرص العمل ومعالجة الاستبعاد الاجتماعي (Social Exclusion).

السياسة الاقتصادية للفاروق

إنه مما لا شك فيه أن مؤشر التوظيف من أهم المؤشرات التي تتابعها الدول المتقدمة بكثب، وتحرص على الدفع به، والحيلولة دون أن تحتل معدلات البطالة لا سيما بين الشباب معدلات مرتفعة، وهو في الدول النامية أولى بالاهتمام، وقد كانت سياسة التوظيف من أهم السياسات التي بنى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، سياسته الاقتصادية، فقد سأل، رضي الله عنه، أحد ولاته: ماذا تفعل لو جاءك سارق؟ فقال الوالي: أقطع يده، قال عمر: وإذن فإن جاءني منهم جائع أو متعطل، فسوف أقطع يدك، إن الله سبحانه وتعالى استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر

الدولة	السنة	معدل البطالة	قوة العمل بالألف	عدد العاطلين بالألف	معدل البطالة بين الذكور	معدل البطالة بين الإناث	نسبة الإناث بين العاطلين	نسبة الشباب بين العاطلين (15-24 سنة)	نسبة الجامعيين بين العاطلين	نسبة العاطلين طالبي العمل لأول مرة	نسبة العاطلين أقل من سنة
الأردن	2016	15.5	2,009	311	13.8	24.8	29.5	51.0	41.1	47.6	47.0
الإمارات * (1)	2016	3.6	6,329	228	2.8	9.6	33.3	33.8	4.6	76.6	
البحرين * (2)	2016	1.3	756	10	0.5	4.3	19.8	54.0	2.2		
تونس	2016	15.5	4,056	630	12.5	23.2	42.9	40.0	41.7	53.1	71.9
الجزائر	2016	10.4	12,585	1,309	8.3	16.3	36.6	42.7	14.3	62.1	60.8
جيبوتي	2016	6.6	318	21	6.1	7.6	40.0	62.2			
السعودية * (3)	2016	5.7	13,129	752	2.5	21.1	56.4	36.9	63.3	90.4	19.0
السودان	2016	13.3	11,862	1,578	11.3	19.2	47.8	36.4	22.9	60.7	56.0
سورية	2016	50.0	4,943	2,472	50.9	37.1	10.9	73.0	9.4	70.0	
الصومال	2016	6.6	3,214	213	6.3	7.4	34.7				
العراق	2016	16.4	9,449	1,550	13.7	26.8	29.1	18.0			
عمان* (4)	2016	2.1	2,115	44	1.0	10.5	64.9	28.9	36.9	80.2	
فلسطين (5)	2016	26.9	1,341	360	18.9	29.5	34.4	38.9	39.2	52.5	25.6
قطر * (6)	2016	0.7	1,626	11	0.1	1.0	21.9	32.4	39.8	81.5	34.6
القمر	2016	20.0	278	56	18.3	23.6	36.2	38.0		47.6	
الكويت * (7)	2015	2.2	2,091	46	1.2	4.4	59.4	33.2	12.4		53.5
لبنان	2016	6.4	2,159	138	5.4	11.0	42.8	51.2	36.6	46.0	33.0
ليبيا	2016	19.2	2,367	455	21.0	18.0	24.7			98.0	
مصر	2016	13.2	30,787	4,064	9.6	24.7	43.2	53.9	27.9	74.3	68.1
المغرب	2016	9.4	11,669	1,105	8.9	10.9	30.6	22.5	18.9	51.9	65.9
موريتانيا	2016	11.7	1,186	138	10.8	13.6	35.9				
اليمن	2016	70.0	8,224	5,757	84.6	28.4	10.5	58.0	12.2		

المصدر: تقديرات محدثي التقرير بناء على مصادر وطنية رسمية ومصادر إقليمية ودولية متفرقة.
* مواطنون وغير مواطنين.
(1) قدر معدل البطالة بين المواطنين بحوالي 14.0%، وقدر عدد العاطلين بحوالي 35 ألف عاطل.
(2) بلغ معدل البطالة بين المواطنين في البحرين في عام 2014 حوالي 3.6%، وحجم قوة العمل البحرينية بحوالي 207.8 ألف، وعدد العاطلين بين المواطنين بحوالي 7.4 ألف عاطل.
(3) قدر معدل البطالة بين السعوديين عام 2014 بحوالي 11.7 في المائة من قوة العمل السعودية، وبعدد 651.3 ألف عاطل.
(4) قدر حجم العمالة المصابة عام 2016 بحوالي 223.1 ألف، والعمالة الوافدة بحوالي 1848 ألف.
(5) فلسطين – "نسبة الجامعيين بين العاطلين" = (عدد العاطلين عن العمل حاملي شهادة البكالوريوس فأعلى / عدد العاطلين عن العمل).
(6) قدر معدل البطالة بين القطريين عام 2014 بحوالي 0.9% من قوة العمل القطرية، وبلغ عددهم حوالي 800 عاطل.
(7) قدر معدل البطالة بين المواطنين في الكويت عام 2015 بحوالي 4.7%، وبمعدل حوالي 4.2% للذكور، وحوالي 5.5% للإناث.

جدول: بعض مؤشرات البطالة في الدول العربية وفق آخر بيانات متوافرة

لهم حرفتهم، فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها، يا هذا، إن الله خلق الأيدي لتعمل، فإن لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فأشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

إن مشكلة بطالة الشباب في الدول العربية وإن كانت قنبلة موقوتة لكنها ليست عصية على العلاج، ولكنها تحتاج إرادة مخلصة وإدارة رشيدة، لاتخاذ خطوات عملية لعلاج تلك المشكلة من جذورها، يأتي في مقدمتها تأهيل الاقتصاد الكلي لتحقيق الثقة، وجذب الاستثمارات وتعزيز النمو الداعم للتشغيل وذلك بتوفير بيئة اقتصادية محفزة للنمو الاقتصادي وخلق المزيد من فرص العمل، وذلك بتطوير البنية التشريعية، وجعل السياسة النقدية والمالية مسخرة لخدمة السياسة الهيكلية، فالسياسة النقدية ينبغي أن يكون لها قدرة على السيطرة على التضخم، وتحفيز التمويل للمشروعات، كما ينبغي للسياسة المالية أن تعمل على توفير الحوافز اللازمة لأنشطة التشغيل والتدريب، وتقديم الإعفاءات والمزايا الضريبية للمشروعات لا سيما الصغيرة والمتوسطة، مع مراعاة نوعية النشاط المستثمر فيه بصورة تزيد من القيمة المضافة، وتعمل على الإحلال محل الواردات، وتشجيع الصادرات، وتخلق هيكلاً للنشاط الاقتصادي يتسم بالمرونة والتنوع.

كما ينبغي تبني منهج متكامل (وليس ترقيعياً أو مظهرياً) لحفز مستويات تشغيل الشباب في إطار وإستراتيجيات وخطط وطنية هادفة للتشغيل ذات أهداف كمية ونوعية لخفض معدلات البطالة بشكل عام وبطالة الشباب بشكل خاص، وتوجيه برامج تشغيل الشباب نحو الأنشطة الاقتصادية الأكثر ديناميكية والمؤهلة بشكل أكبر للاستفادة من طاقات الشباب العربي، وفي مقدمتها الأنشطة التقنية، مع الاستفادة من الاستثمار الأجنبي وفقاً للمصالح المتبادلة، وبما يسهم في الاستثمار بمشروعات تجدد الجانب التقني، وتستوعب مزيداً من العمالة.

كما ينبغي للحكومات إشراك القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني لتشجيع ريادة الأعمال لدى الشباب العربي، وتدعيم برامج تأهيل وتدريب العمالة، والتعاون كذلك مع المنظمات الإقليمية والدولية المعنية بهذا الشأن.

كما تبدو أهمية تقديم حوافز لمنشآت القطاع غير الرسمي ليندرج تحت مظلة الاقتصاد الرسمي، مع تأسيس حاضنات فعلية لا سيما للمشروعات الصغيرة والمتوسطة، وتوفير لها سبل التمويل والتسويق وما يلزم لريادة الأعمال.

ومن الأهمية بمكان أيضاً ربط مخرجات التعليم بمتطلبات سوق العمل، لتعظيم مستويات الاستفادة من قدرات الشباب العربي وتقليل مستويات الهدر في الطاقات البشرية، وفي هذا الشأن يمكن محاكاة نظام التدريب المهني المزدوج المتميز في ألمانيا الذي يتيح لخريجي الثانوية العامة المفاضلة بين البدء في التدريب المهني ببعض المدارس المهنية لممارسة الحرف المختلفة والعمل في نفس الوقت مقابل أجر، أو مواصلة الدراسة الجامعية.■

د. أشرف دوابه

واقع الاقتصاد العربي..
مشكلات وحلول

ارتفاع التضخم يكشف مكامن ضعف الاقتصاديات العربية

يعد التضخم من أسوأ الأمراض الاقتصادية التي تضر بالمجتمعات، لذلك تحرص البنوك المركزية على وضع مواجهة التضخم في مقدمة أولوياتها، لما يمثله من أعباء على المنتجين والمستهلكين على حد سواء، بل وعلى موازنة الدولة، التي من المفترض أن تتجه أهدافها لتخفيف الأعباء عن مواطنيها، ووفق إحصاءات تقرير «آفاق الاقتصاديات العربية لعام ٢٠١٨»، الصادر عن المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، فإن المنطقة العربية شهدت ارتفاعاً ملحوظاً في معدلات التضخم منذ عام ٢٠١٣م وحتى الآن.

د. عبدالحافظ الصاوي

عام ٢٠١٤م شهد صعوداً في معدل التضخم حيث بلغ ٤.٨٪ وفي عام ٢٠١٧م بلغ ٧.٨٪

الارتفاع الكبير في التضخم بمصر يرجع إلى اضطراب سعر العملة وإجراءات صندوق النقد الدولي

التفاوت بين دول الخليج بالتضخم سببه اختلاف عدد السكان وانعكاساته على الموازنة العامة

في خلال الفترة من عام ٢٠٠٠ حتى عام ٢٠١٣م بلغ متوسط معدل التضخم بالمنطقة العربية ٤,١٪، بينما شهد عام ٢٠١٤م صعوداً في معدل التضخم حيث بلغ ٤,٨٪، وفي عامي ٢٠١٦ و٢٠١٧م بلغ معدل التضخم ٥,٣٪ و٧,٨٪ على التوالي، وإن كانت توقعات تقرير مؤسسة الاستثمار تذهب إلى تراجع معدل التضخم في عام ٢٠١٨م لنحو ٦,٤٪.

والجدير بالذكر هنا أن تراجع معدل التضخم وإن كان شيئاً إيجابياً فإنه لا يعني تراجع الأسعار بالأسواق، فتراجع معدل التضخم يعني أن المعدلات التي ترتفع بها الأسعار ستقل عن معدلات عام المقارنة.

شأن العديد من المؤشرات الاقتصادية، تتباين معدلات أداء

الدول العربية، فالتضخم وإن كان قد شهد معدلات مرتفعة في كافة الاقتصاديات العربية، إلا أنه اختلف في تلك المعدلات من دولة إلى أخرى؛ فدول المغرب العربي تختلف عن دول المشرق العربي، ومن ثمة تختلف عن دول الخليج العربي.

ومن الصعوبة بمكان أن نتحدث في هذا الشأن حديثاً إجمالياً عن الأداء الإقليمي فيما يتعلق بمعدل التضخم أو غيره من المؤشرات الاقتصادية الأخرى، فنحن لا نتحدث عن معدل التضخم في الاقتصاد العربي، لأنه لا يوجد اقتصاد عربي، ولكن توجد اقتصاديات عربية، لا يجمعها سياسات موحدة على الصعيد المالي والنقدي والتجاري والاستثماري والتوظيف.

ومن هنا نتناول ما يتواكب مع واقع اقتصاديات المنطقة العربية؛ حيث لا يجمع الأداء الاقتصادي في المنطقة العربية سوى العملية الحسابية، لجمع إحصاءات أداء الدول العربية في مؤشر معين.

وحسب الإحصاءات المنشورة بتقرير مؤسسة الاستثمار، فإن معدل التضخم كان الأعلى بين الدول العربية في عام ٢٠١٧م، كان مرتفعا في مصر بنحو ٢٩,٩٪، تليها السودان بمعدل تضخم ٢٦,٩٪، وكانت الجزائر في المرتبة الثالثة بنحو ٥,٥٪، ويرجع الارتفاع الكبير في معدل التضخم في كل من مصر والسودان إلى الاضطراب في سعر العملة الوطنية، والإجراءات شديدة السلبية التي طبقتها مصر تحت ضغوط صندوق النقد الدولي، كذلك سوء الأداء الاقتصادي بالسودان، ووجود مضاربات شديدة على عملتها المحلية، بسبب تراجع تدفقات النقد الأجنبي إليها، على الرغم من الرفع الجزئي للعقوبات الاقتصادية الأمريكية عنها.

أما الوضع في الخليج، فتبين الإحصاءات أن السعودية شهدت أعلى معدل تضخم في عام ٢٠١٦م بنحو ٣,٥٪، بعد أن كان ٢,٢٪ في عام ٢٠١٥م، ويرجع ذلك إلى مجموعة الإجراءات التي اتخذتها المملكة بخصوص رفع أسعار الوقود، وكذلك خدمات عامة أخرى مثل المياه والكهرباء، فضلاً عن رسوم خدمات الوافدين، وإن كان تحسن أسعار النفط في السوق الدولية خلال الشهور الأخيرة من عام ٢٠١٧ وكذلك في عام ٢٠١٨م، أجّل بعض الإجراءات التي كانت تعزم السعودية اتخاذها فيما يتعلق بتحرر سعر السلع والخدمات العامة، وتقليص نفقات الدعم.

أما الإمارات، فكان عام ٢٠١٥م هو الأعلى بالنسبة لمعدل التضخم، مقارنة بباقي سنوات الفترة بين عامي ٢٠١٤ – ٢٠١٧م، فقد بلغ معدل التضخم في عام ٢٠١٥م بالإمارات نحو ٤,١٪، بعد أن كان ٢,٣٪ في عام ٢٠١٤م، أما قطر فكان عام ٢٠١٦م هو الأعلى من حيث معدل التضخم حيث بلغ ٣,٥٪ مقارنة بـ١,٨٪ في عام ٢٠١٥م، وكذلك الوضع في الكويت بلغ معدل التضخم الأعلى ٣,٧٪ في عام ٢٠١٥م، وإن كان قد شهد انخفاضاً في عام ٢٠١٧م حيث بلغ ٢,٥٪.

ويرجع هذا التفاوت فيما بين دول الخليج فيما يتعلق بمعدل التضخم، إلى الاختلاف في عدد السكان، وما يعكسه من تبعات على الموازنة العامة؛ فصندوق النقد الدولي كان قد حدد أسعاراً متباينة فيما يتعلق بسعر النفط الذي يستطيع تحقيق حالة من التوازن بين إيرادات ونفقات الموازنات لدول الخليج، حيث أشارت تلك التقديرات إلى أن البحرين تحتاج إلى سعر نفط ٩٥ دولاراً للبرميل لكي تصل موازنتها لحالة توازن وتغادر حالة العجز التي تعيشها منذ سنوات، بينما يحتاج الوضع في السعودية إلى سعر ٧٥ دولاراً للبرميل، وفي الإمارات تحتاج حالة التوازن بالموازنة إلى أن تكون أسعار النفط عند ٦٠ دولاراً للبرميل، وفي كل من قطر والكويت يحتاج الأمر إلى سعر برميل النفط إلى ٤٥ دولاراً.

وفي ظل الأسعار السائدة بالسوق الدولية للنفط، منذ الشهور الأخيرة من عام ٢٠١٧م، والفترة الماضية من عام ٢٠١٨م، استطاعت كافة دول الخليج، باستثناء البحرين، الوصول لأسعار نفط، تمكنها من تجاوز حالة عجز الموازنة، وهو ما يسمح لها بأوضاع مالية، تجعلها تتجاوز حالة الغضب التي اجتاحت مجتمعاتها خلال الأعوام الثلاثة الماضية، بسبب الإجراءات الاقتصادية التقشفية، التي هزت العقد الاجتماعي القائم بين حكومات دول الخليج ومواطنيها، من تقديم دعم سخي لكافة أسعار السلع والخدمات، وهو ما جعل الأكاديميين يصنفون الدعم بالدول النفطية الخليجية بـ«الدعم المكبوت»؛ لأن الأسعار في ذلك الوقت لم تكن تعبر عن الواقع الحقيقي لآليات العرض والطلب، وكانت الموازنات العامة للحكومات الخليجية تتحمل هذا الفارق بين الأسعار الحقيقية، وواقع الأسعار المنخفضة.

أما في منطقة المغرب العربي، فتعد الجزائر هي الأكبر من بين الدول الثلاث من حيث معدلات التضخم، بسبب اعتماد اقتصادها بشكل كبير على العوائد النفطية، التي تراجعت بشكل كبير بسبب الأزمة، وقد كان عام ٢٠١٦م هو الأعلى من حيث معدل التضخم في الجزائر من بعد عام ٢٠١٤م، وفي تونس كانت معدلات التضخم في عام ٢٠١٧م هي الأعلى عند معدل ٤,٥٪، وذلك بفضل السياسات الاقتصادية التي فرضها الصندوق، التي أدت إلى رفع الدعم عن العديد من السلع والخدمات، كان أبرزها النفط.

أما المغرب، فهو الأفضل فيما بين دول المغرب العربي أو حتى من بين الدول العربية؛ حيث كان معدل التضخم به لا يتجاوز ١,٦٪ في عام ٢٠١٦م، وانخفض إلى ٠,٩٪ في عام ٢٠١٧م، ويعود ذلك لاستفادة المغرب من انتعاش النشاط السياحي، وكذلك استفادته من عودة تجارته الخارجية مع دول الاتحاد الأوروبي خلال السنوات الثلاث الماضية.

ثمة مجموعة من العوامل

في عام ٢٠١٨م استطاعت دول الخليج باستثناء البحرين الوصول لأسعار نفط تمكنها من تجاوز عجز الموازنة

معدلات النمو الاقتصادي شهدت تراجعاً كبيراً كان عام ٢٠١٧م هو الأسوأ فيها

واقع الاقتصاد العربي..
مشكلات وحلول

الاقتصادية أدت إلى ارتفاع معدلات التضخم بالدول العربية، منها ما يتعلق بالسياسات التحررية التي اتبعتها العديد من الدول العربية نتيجة توقيعها اتفاقيات تخص الإصلاح الاقتصادي مع صندوق النقد الدولي، أو حتى تلك التي لم توقع اتفاقيات، ولكنها استرشدت بتقارير مجموعة خبراء صندوق النقد الدولي كما هي حال الدول الخليجية النفطية، في السعودية والإمارات والكويت وقطر.

وكذلك كانت الأحداث التي شهدتها بعض البلدان العربية على الصعيدين السياسي والأمني أثراً واضحاً في ارتفاع معدلات التضخم بالمنطقة؛ حيث تراجعت معدلات النمو الاقتصادي، وانخفضت العملات المحلية؛ وهو ما أدى إلى زيادة اعتماد هذه البلدان على الخارج في تدبير احتياجاتها الأساسية، كما هي الحال في ليبيا واليمن وسورية والعراق.

فعلى صعيد الناتج المحلي الإجمالي للمنطقة العربية، توضح الأرقام الخاصة بالتقرير الذي أشرنا إليه عاليه، أن قيمة الناتج المحلي تراجعت من ٢,٧٩ مليار دولار في عام ٢٠١٤م، إلى ٢,٤٠ مليار دولار و٢,٢٥ مليار دولار على التوالي في عامي ٢٠١٦ و٢٠١٧م، كما أن معدلات النمو الاقتصادي شهدت هي الأخرى تراجعاً بطبيعة الحال حيث كان عام ٢٠١٧م هو الأسوأ، حيث بلغ معدل النمو بالمنطقة العربية ٢٪، مقارنة بمتوسط ٥,٣٪ خلال الفترة ٢٠٠٠ – ٢٠١٣م.

ولا يخفى على المتابع للشأن العربي أن تراجع كل من قيمة الناتج المحلي الإجمالي، وكذلك معدل النمو الاقتصادي بالمنطقة العربية، كان نتيجة طبيعية لأزمة انهيار أسعار النفط بعد منتصف عام ٢٠١٤م، التي لم تشهد تحسناً ملحوظاً إلا مع بداية عام ٢٠١٨م.

وبالإضافة إلى العوامل السابقة من الاضطرابات السياسية والأمنية بدول المنطقة، وكذلك التداعيات السلبية لأزمة انهيار النفط في السوق الدولية، تعاني الاقتصاديات العربية بشكل عام من ضعف هياكلها الاقتصادية، وتراجع مساهمة القيمة المضافة في كافة أنشطتها الاقتصادية؛ فما زالت فاتورة استيراد الغذاء في تصاعد مستمر على مستوى كافة الدول العربية؛ حيث وصلت قيمتها ٣٣,٨ مليار دولار في عام ٢٠١٥م، وفق أرقام التقرير الاقتصادي العربي الموحدة لعام ٢٠١٧م.

وإذا ما نظرنا لهيكل التجارة الخارجية العربية، نجد أنها تعتمد على السلع التقليدية والمواد الخام من حيث الصادرات؛ فقد بلغت مساهمة صادرات النفط والغاز نسبة ٦٣,١٪ من قيمة الصادرات السلعية العربية في عام ٢٠١٦م، بينما بلغت الصادرات الزراعية ٤,٦٪، والصادرات من السلع الصناعية ٣٢,٣٪، في حين أن هيكل الواردات يكرس استمرار

ما زالت فاتورة استيراد الغذاء في تصاعد مستمر بكافة الدول العربية حيث وصلت ٣٣.٨ مليار دولار عام ٢٠١٥م

يتوقع أن يظل النفط مصدراً للتضخم في الدول العربية حيث ما زالت أسعاره تلامس ٧٠ دولاراً

اعتماد الاقتصاديات العربية على الخارج، فقد بلغت نسبة الواردات من السلع الصناعية ٧٥,١٪ من إجمالي الواردات العربية، كما بلغت واردات الوقود نسبة ٩,٤٪، بينما الواردات الزراعية بلغت نسبة ١٤,٧٪ من إجمالي الواردات.

وبالتالي سيظل معدل التضخم في المنطقة العربية يمثل تهديداً للمجتمعات ولصانع السياسة، ما لم تتجه الحكومات العربية بشكل حقيقي لتغيير هيكل تلك الاقتصاديات لتعتمد على الصناعة والتكنولوجيا، ولتكتفي ذاتياً بنسب معتبرة في مجال الاحتياجات الزراعية والغذاء.

كما أشرنا في السطور السابقة، أدت أزمة انهيار أسعار النفط في السوق الدولية إلى إحداث حالة من ارتفاع معدلات التضخم، ويتوقع أن يظل النفط مصدراً للتضخم في الدول العربية خلال المرحلة القادمة، بسبب أن الدول العربية المستوردة للنفط، سوف تواجه مشكلة ارتفاع أسعاره خلال الفترة القادمة؛ حيث ما زالت أسعاره تلامس ٧٠ دولاراً في المتوسط، ويتوقع أن تشهد المزيد من الارتفاع، ومن هنا لن تجد حكومات الدول المستوردة للنفط سوى رفع أسعار الوقود، ولا يحتاج الأمر لإيضاح أثر ذلك على رفع معدلات التضخم.

أما الدول المنتجة للنفط -التي تحسنت أوضاعها المالية بعض الشيء خلال الشهور الماضية من عام ٢٠١٨م- فإن الأمر سوف يتوقف على ما ستتبعه من سياسات اقتصادية، هل ستؤجل خطتها في الإجراءات التقشفية وعدم رفع أسعار المزيد من السلع والخدمات؟ أم ستستمر في تلك الإجراءات، وتوجه الفوائض المتحققة إلى سداد المديونيات الخارجية التي ترامت على مدار السنوات الأربع الماضية، وتسعى لتوجيه جزء مهم من الفوائض النفطية لمشاريع استثمارية إنتاجية حقيقية تغير من هيكل وطبيعة الاقتصاديات النفطية العربية، ليكون لديها سياج حقيقي لمواجهة التضخم وغيرها من التقلبات الاقتصادية الداخلية والخارجية، سوف تظهر الأيام القادمة التوجهات الاقتصادية النفطية.■

هل الإيمان يجلب الرخاء الاقتصادي؟

يشيع في كتب التفاسير والوعظ أن هناك علاقة طردية بين الإيمان والرخاء الاقتصادي، ومن ذلك ما يحكونه عن الحسن البصري: أن رجلاً شكا إليه الجدب، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، وآخر قلة ريع أرضه.. فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال له بعض القوم: أتاك رجال يشكون إليك أنواعاً من الحاجة، فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فتلا له قوله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً {١٠} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً {١١} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً {١٢}) (نوح).

حامد العطار

في القرآن الكريم آيات تربط الرخاء الاقتصادي بالإيمان، منها قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ من فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) (المائدة: ٦٦)، وقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾) (الأعراف)، وقوله تعالى: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾) (هود)، وقوله تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾) (طه)، وقوله تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) (الطلاق).

وقد أورد الرازي استشكالاً للبعض في وعْد الأنبياء أقوامهم برغد العيش إن هم آمنوا بما جاء في الترمذي: سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان صلباً في دينه اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة هون عليه فما زال كذلك حتى يمشي على الأرض ما له ذنب» (مشكاة المصابيح (١/ ٤٩٢) حسنه الألباني)، لكنه (الرازي) لم يذكر وجهاً جيداً في رد هذا الاستشكال!

البعض استشكلوا وعْد الأنبياء أقوامهم برغد العيش إن هم آمنوا بحديث «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل»

مات أحد الصحابة ولم يوجد ما يكفن فيه إلا نمرة إذا غطوا بها رأسه تعرّت رجلاه

شعب أبي طالب

وأظهر من ذلك سيرة النبي ﷺ مع أصحابه في صدر الدعوة؛ حيث عضتهم الدنيا بشظف عيشها، ومات أحد الصحابة فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة، فكانوا إذا وضعوها على رأسه تعرّت رجلاه، وإذا وضعوها على رجليه برزت رأسه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوا على رجليه من نبات الإذخر».

وفي تضاعيف هذه الحياة النبوية، رأينا حصار النبي ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، في حصار قطعت عنهم فيه الميرة والمادة، فلم يكن المشركون يتركون طعاماً يدخل مكة ولا بيعاً إلا بادروه فاشتروه، حتى بلغهم الجهد والتجؤوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً.

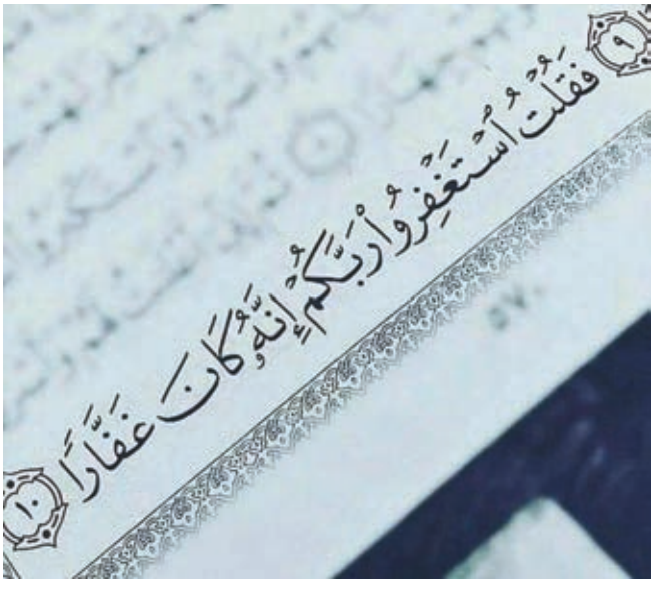

واقع الاقتصاد العربي..
مشكلات وحلول

يمكننا أن نصل إلى فض الاشتباك من خلال المقارنة بين آيتين اثنتين؛ الآية الأولى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾) (المائدة)، الآية الثانية: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾).

الإيمان والمنهج

فالآية الأولى ربطت بين الإيمان وموعود أخروي، وهو الجنة، والآية الثانية ربطت بين إقامة منهج الله عز وجل وموعود دنيوي، وهو الأكل من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم؛ ذلك أن إقامة منهج الله في أرضه كفيلة بأن ينعموا في ظلها بحياة وارفة الظلال، رغدة العيش.

ففي ظل هذا المنهج لن ينتجوا إلا ما أحل الله، وسوف يتجنبون إنتاج ما حرم الله، فلا مكان في ظل هذا المنهج لإنتاج المخدرات بأنواعها من الحشيش والخشخاش، ومن ثَمّ فلا مال سوف يهدر إلى معالجة المدمنين؛ مما يؤدي إلى المحافظة على الموارد.

هذا المنهج الرباني يأمرهم أن ينتجوا ما يكفيهم ذاتياً، فلن يستطيع أحد ابتزازهم من أجل إمدادهم بما يحتاجون.

هذا المنهج الرباني يحرم الإسراف وينهى عن التبذير، ما يؤدي إلى المحافظة على أصل الموارد.

وفي مجال التداول، سيجدون أن هذا المنهج المنزل من السماء يحرم التجارة في المحرمات، ويحرم الربا والاحتكار والضرر، والغش والتدليس، والميسر والقمار، حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم.

ومن عجز عن العمل، أو قدر ولم يجد، فله نصيب مفروض في مال الأغنياء.

وهذه كلها قيم يؤمر بها الإنسان في ظل هذا المنهج، أما ضمان الرزق بإنزال المطر، وإنبات الزرع، فذلك مكفول للعباد جميعاً؛ (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) (فصلت)، وكل ما في الأرض جميعه مسخر لكل البشر جميعهم، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً) (الجاثية: ١٣).

الإيمان والرخاء

وتبقى هنا آيات تتأسف على أقوام جلبوا على أنفسهم الجدب والفقر بسبب الكفر والجحود، وتتحدث أنهم لو كانوا آمنوا لوقوا أنفسهم شؤم هذا المصير، ولرزقهم الله وأحسن إليهم، مثل قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾).

وهذه الآيات وفق هذه النظرية التي اخترناها محمولة على أن الله تعالى كان يعاقب الجاحدين والكافرين بعقوبات كونية، قال تعالى: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾) (العنكبوت).

أي أن كل واحد من المذكورين الذين كذبوا رسلهم، عاقبناه بما اقترف من ظلم وفساد، وكان أخذ كل منهم وفق ما أراده الله؛ فمنهم من أهلكناه بالريح العاصفة التي تحمل الحصباء -وهي صغار الحصى- وهم قوم لوط.

وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) (الأنعام)، وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾) (الأعراف).

فمعنى هذه الطائفة من هاته الآيات أن كفرهم وعنادهم سبب نقمة الله عليهم، ومعاقبتهم بالجدب والقحط والحرمان، بل والاستئصال، والخسف، والتغريق، ولو أنهم آمنوا لوقوا أنفسهم شر هذا المصير، قال تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾) (الأعراف).

ثم أوقف الله سنة استئصال الأمم المعاندة وإهلاكها؛ وذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾) (القصص)، يقول ابن كثير: يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم، عليه من ربه الصلاة والتسليم، من إنزال التوراة عليه بعدما أهلك فرعون وملأه.

وقوله: (مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين.

وقال ابن جرير: عن أبي سعيد الخدري قال: ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض، غير القرية التي مُسخوا قردة، ألم تر أن الله يقول: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى).

على أن أمر الأنبياء أقوامهم باستغفار ربهم، كما في مثل قول هود لقومه: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) (هود: ٥٢)، وقوم نوح كما ذكرنا من قبل في سورة «نوح»، هذا الأمر بالاستغفار ليس معناه قول: «أستغفر الله العظيم وأتوب إليه»، ولكن المراد منه الإسلام والإيمان، والتزام المنهج الرباني المنزل، وهذا يعيدنا إلى نقطة البداية، التي قررنا فيها أن التزام المنهج الرباني يحمل في ذاته مقومات الرخاء الاقتصادي!

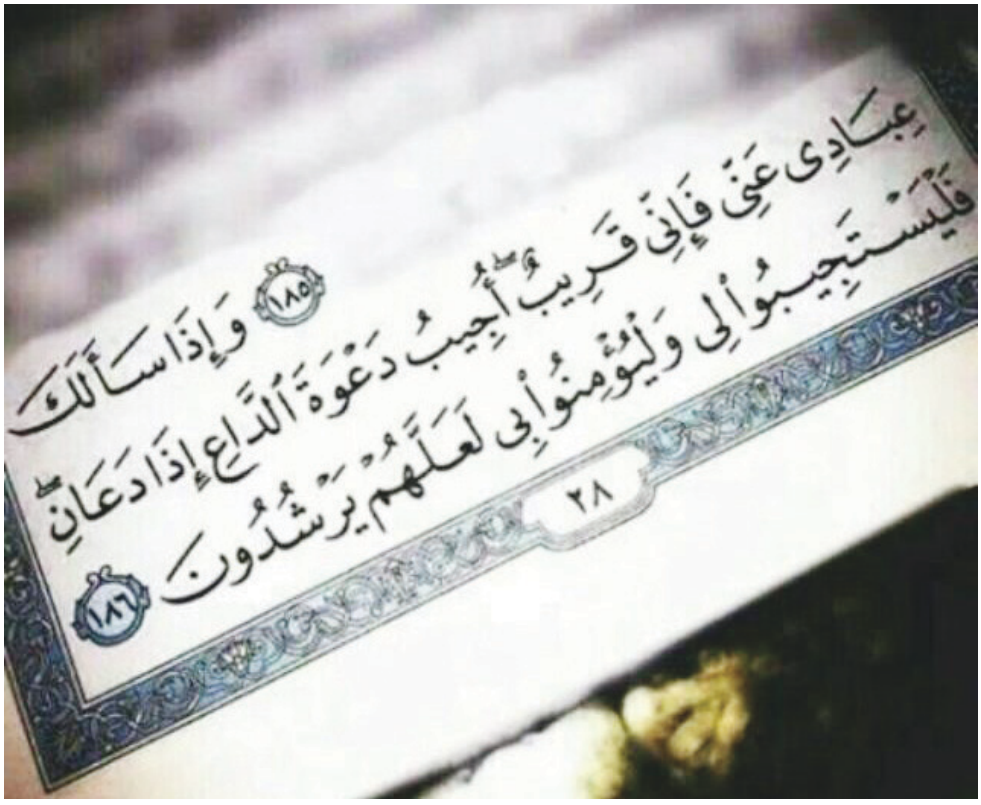

الاستغفار والرخاء الفردي

ويبقى الاستغفار والإيمان على المستوى الفردي من أسباب الرخاء الاقتصادي، أي أنه إذا لم يُقِم المسلمون منهج الله في أرضه، فلا وعد لهم بالرخاء على مستوى دولتهم ولا أمتهم، ولكن هذا لا ينفي أن يبارك الله في رزق الفرد منهم إن هو لجأ إلى الله تعالى، فلزم الاستغفار، واتقى الله، وتجنب معصيته، وخاصة تجنب المناهي في كسب الرزق؛ بأن ألزم نفسه بتعاطي أسباب الرزق الحلال، وابتعد عن تعاطي أسباب الرزق التي حرم الله تعالى.

الفقر المجتمعي لا ينفي البركة للفرد إن لجأ إلى الله تعالى واتقاه وتجنب معصيته ولزم الاستغفار

المنهج الرباني يحمل في ذاته مقومات الرخاء الاقتصادي حيث يحرم الإسراف ويحافظ على أصل الموارد

كما أن الصدقة وخاصة مع مخافة الفقر من أسباب توسيع الرزق على صاحبها، حتى لو كان في ظل دولة فقيرة محتاجة؛ ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل بفلاة إذ سمع رعداً في سحاب، فسمع فيه كلاماً: اسق حديقة فلان -باسمه- فجاء ذلك السحاب إلى حرة فأفرغ ما فيه من ماء، ثم جاء إلى أذناب شرج فانتهى إلى شرجه، فاستوعبت الماء ومشي الرجل مع السحابة حتى انتهى إلى رجل قائم في حديقة له يسقيها، فقال: يا عبدالله، ما اسمك؟ قال: ولمَ تسأل؟ قال: إني سمعت في سحاب هذا ماؤه: اسق حديقة فلان باسمك، فما تصنع فيها إذا صرمتها؟ قال: أما إن قلت ذلك فإني أجعلها على ثلاثة أثلاث؛ أجعل ثلثاً لي ولأهلي وأرد ثلثاً فيها وأجعل ثلثاً للمساكين والسائلين وابن السبيل».■

واقع الاقتصاد العربي..
مشكلات وحلول

المشكلة الاقتصادية في ضوء «كمنويلث» مالك بن نبي

يطرح مالك بن نبي فكرته حول المشكلة الاقتصادية بالعالم الإسلامي في ضوء الظروف العالمية السائدة في هذا الوقت، فإن المشكلة الاقتصادية الإسلامية - العربية وقعت بين القطبين الغربيين الكبيرين الواقعين على متصل النقيض آنذاك (موسكو - واشنطن) فانحصرت المشكلة الاقتصادية في فكرتي «التخلف» و«التنمية»، وهاتان الفكرتان ترتبطان بعنصر المال؛ ففي الماركسية يتحقق الخلاص من التخلف بانتقال رأس المال من طبقة الإقطاعيين إلى العمال، وفي الرأسمالية، فإن التنمية تعني حرية رأسمال وتعاظم الفردية وإحلال المال محل العمل.

د. حسان عبدالله

تطورت المشكلة الاقتصادية الآن؛ حيث تعتمد بعض الدول العربية على القروض والمعونات الاقتصادية مع تلاشى الطبائع المميزة لها مثل الدول الزراعية أو نصف الصناعية كما كانت في بداية الخمسينيات وما بعدها.

ومن ناحية أخرى، فإن الخطأ الإستراتيجي للفكر الاقتصادي الإسلامي أنه حصر حلول مشكلاته الاقتصادية في هذين الطريقين (الرأسمالي، والاشتراكي)، ووقعت النخبة الاقتصادية بين خيارين بين ليبرالية «آدم سميث»، ومادية «ماركس»، كأنما ليس للمشكلات الاقتصادية سوى الحلول التي يقدمها هذا أو ذاك، دون وقوف وعبرة عند أسباب الفشل، أو نصف النجاح لخطط التنمية التي طبقت على أساس الليبرالية أو المادية في العالم الثالث[1].

وينتقد في الوقت ذاته منهجية التلفيق بين جوهر النظم الاقتصادية الوضعية والتصور الإسلامي، ويرى أن بناء تصور اقتصادي إسلامي لا يمكن أن يقوم على مسألة «التوفيق» أو منهجية التلفيق التي تجمع بين العناصر المؤسسة للاقتصاد الغربي (رأسمالي أو اشتراكي) مع إضفاء مسحة فقهية على هذه المكونات، أما الحل الذي يراه فهو إنتاج طريق ثالث يجب أن يقوم به الاقتصاديون الإسلاميون.

وتبدو المشكلة الاقتصادية في حالتها الإسلامية في جانبين رئيسين، هما[2]:

١- الجانب النفسي: ويتمثل في حالة تأثر المسلمين بالغرب في النظر إلى الجانب الاقتصادي، بالإضافة إلى تحول المسلمين إلى أدوات عمل تنتج ما يراه الاستعمار؛ «فتحول المسلم إلى قنّ (أي: عبد) يُسخّر من كل عمل يريده الاستعمار، فينتج المطاط في حقول الهند الصينية، والفول السوداني في أفريقيا الاستوائية، والتوابل والكاكاو في جاوة (إندونيسيا)، والخمور في الشمال الأفريقي..

• مالك بن نبي

لقد أجرى على المسلم قانون التقليد كما يجري على كل كائن فقد صلته بعالمه الأصيل فقد أصالته».

٢- إشكالية التقليد ونظرية الحاجات: وقع المسلم -أيضاً- في إشكالية التقليد لنظرية «الحاجات» عند الغرب، بعد أن فقد وعيه الحضاري، فيصير في مرحلة أولى مقلداً بقدر استطاعته للحاجة التي أفرزتها حياة غيره، دون أن يفكر في صنع وسيلة إشباعها، ثم في مرحلة ثانية، إذا تحقق استقلال

> **الخطأ الإستراتيجي للفكر الاقتصادي الإسلامي أنه حصر حلول مشكلاته في الرأسمالية والاشتراكية فقط**

> **بن نبي يرى ضرورة إنتاج طريق اقتصادي إسلامي ثالث بعيداً عن التلفيق بين الرأسمالية والاشتراكية**

بلاده، يصير إلى تقليد الحاجات الواردة، وتقليد الوسائل المستوردة كيفما اتفق له، ولو على حساب سيادة بلاده.

إن العقبة بالنسبة للعالم الإسلامي ليست في عنصر المال رغم أهميته الاقتصادية، فإنه يأتي في مرحلة تالية للإشكالية النفسية والتربوية الرئيسة للمسلم؛ «إن القضية بالنسبة إلى العالم الإسلامي ليست قضية إمكان مالي، ولكنها قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية؛ أي الإنسان والتراب والوقت في مشروع، تحركها إرادة حضارية لا تحجم أمام الصعوبات، ولا يأخذها الغرور في شبه تعالٍ على الوسائل البسيطة التي في حوزتنا الآن، ولا ينتظر العمل بها حفنة من العملة الصعبة، ولا أي مشروع من نوع مارشال»[٣].

هذه النظرة الإستراتيجية عند مالك بن نبي بالنسبة للأزمة الاقتصادية أكدتها الظروف الاقتصادية للأمة لاحقاً، حيث توافر عنصر رأس المال ولكن لم تتوافر الإرادة، توافر الغنى ولكن لم يتوافر الاكتفاء الغذائي على سبيل المثال، توافر الدخل القومي المرتفع ولكن لم تتوافر التنمية، وهو ما يثبت التالي فيما يتعلق بحقيقة المشكلة الاقتصادية في عالمنا العربي والإسلامي.

إن معادلة المشكلة الاقتصادية في العالم الإسلامي جوهرها الإنسان الذي يقوم باستغلال التراب في ضوء إرادة جماعية من الشعوب العربية والإسلامية، ومن ثم تصبح المعادلة على الشكل التالي: تهيئة الإنسان + استغلال الموارد المتاحة + تعبئة الطاقات الجماعية.

لذا، لا بد أن يكون هناك تمثيل تربوي في حلول تلك

المشكلة؛ لأن الإنسان الذي يمارس هذا العمل المشترك يدرك ما يتحقق على يده في المزرعة أو في المصنع أو في ورش التشييد أنه يستطيع تحويل الجبال ليذوب في مفهومه المستحيل، وتزول من نفسه العقد التي تعطل النشاط المنطلق، ومن فكرة المسلمات الوهمية التي تضع على عمله نوعاً من الرصد يجعله عملاً مشروطاً، أي مقيد بشروط غير طبيعية.

من الضروري الإيمان بالإنسان باعتباره المرتكز لأي نهضة مادية أو معنوية، ولهذا يشغل الجانب التربوي والأخلاقي في أي حلول مقدمة مكان الصدارة؛ «هذا الجانب التربوي الذي يجعل من الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى،

المسلمون تأثروا بالغرب في النظر إلى الجانب الاقتصادي فتحولوا إلى أدوات عمل تنتج ما يراه الاستعمار

بوصفه وسيلة تتحقق بها خطة التنمية، ونقطة تلاقٍ تلتقي عندها كل الخطوط الرئيسة في البرامج المعروضة للإنجاز»[٤].

ومن ناحية أخرى، فإن تعبئة أفراد المجتمع نحو عمل مشترك يكون سبيلاً لتكاتف الجهود نحو حل المشكلة الاقتصادية بمعرفة الواجبات نحو المجتمع، وتقديمها على الحقوق في أوقات الأزمات؛ «فالمجتمع ليس مجرد كمية من الأفراد، وإنما هو اشتراط هؤلاء الأفراد في اتجاه واحد، من أجل القيام بوظيفة معينة ذات غاية، كما أن عمل المجتمع ليس مجرد اتفاق عفوي بين الأشخاص والأفكار والأشياء، بل هو تركيب هذه العوالم الاجتماعية الثلاثة، التركيب الذي يحقق معه ناتج هذا التركيب في اتجاهه وفي مداه تغيير وجود الحياة، أو بمعنى أصح تطور هذا المجتمع»[٥].

كذلك أيضاً لا بد من تعاظم الجانب الأخلاقي في الحل الاقتصادي -كما هي طبيعة الحياة الاقتصادية في الإسلام- حيث «يرتبط الاقتصاد في الفكرة الإسلامية بالقيم الأخلاقية، هذا الترابط الذي أهملته الرأسمالية في نظرتها الإباحية إلى الاقتصاد، بينما نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا درساً في قضية المتسول، رغم أحقيته بنص من القرآن الكريم في الزكاة في أن يأخذ الزكاة من المجتمع بصفته أحد مصارفها، عندما أشار له النبي أن يحتطب ليأكل من عمل يده»[٦].

وبهذا يكون «العمل المشترك» أولاً وقبل كل شيء المدرسة التي تكوّن المسلم الجديد، الذي يستطيع مواجهة كل الظروف الاستثنائية، مثل التخلف؛ لأن مدرسة العمل المشترك تعلمه أن الإرادة إذا حركت الإنسان تجعله يكتشف الإمكان، فالوطن أو المجتمع المسلم الذي يتحول إلى ورشة، سرعان ما يكتشف أن الإمكان الذي ينتظره مما في يد الآخرين لتغيير مصيره هو في يده منذ الآن[٧].

إن الإرادة تكشف الإمكان، هذا القانون في المجال الاقتصادي هو في المجال النفسي ما تشير إليه الآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرَّعد: ١١)، وما نعبر عنه في المجال الاجتماعي بقولنا: إن الإرادة الحضارية تصنع الإمكان الحضاري.

وهنا تصبح الإرادة قلب الإنقاذ للعالم الإسلامي، الإرادة الذاتية الفردية، والإرادة الجماعية المشتركة، ومتى

واقع الاقتصاد العربي..
مشكلات وحلول

تكونت لدى العالم الإسلامي هاتان الإرادتان ستتوافر لديه القدرة على التخلص من حالة التخلف الاقتصادي دون الغرق في الرأسمالية أو الماركسية أو صندوق النقد أو المعونات أو القروض الطاحنة للمجتمع والأفراد؛ «إن العالم الإسلامي متى تكونت لديه إرادة واضحة للتخلص من التخلف سيجد أولاً في المجال النظري أن اختياره ليس محدوداً بالرأسمالية ولا بالماركسية، وأنه من ثم يستطيع التعويض للاستثمار المالي المفقود لديه بالاستثمار الاجتماعي»[٨].

ومن المسارات المهمة لحل المشكلة الاقتصادية داخل «الكمنويلث» الإسلامي[٩] على مستوى الجانب الفني التخصصي، هو توظيف العقول المهاجرة إلى الغرب، ومحاولة طرح خطة لاستعادتها إلى العالم الإسلامي بهدف توظيف هذه الخبرات والكوادر العلمية المتخصصة للإسهام في تقديم حلول فنية في ضوء الأبعاد الثقافية والاجتماعية للبلدان الإسلامية.

إن في استطاعة العالم العربي أن يعيد للتراب وظيفته الاقتصادية بوسائله الموجودة بيده، حتى في الميدان الفني إذا قرر من ناحية أخرى استعادة العقول المغتربة لأسباب مختلفة، منها الأسباب الثقافية التي تتصل بفقدان المسوغات الكفيلة بشد العزائم ورفع الهمم الثقافية إلى مستوى المسؤوليات المنوطة بالعلماء والمثقفين، في نطاق مشروع شامل تتحد فيه الأيدي والعقول والأموال في الرقعة العربية، أو في أكبر جزء ممكن منها بقدر ما تكتمل فيه شروط الاقتصاد التكاملي، حتى تستطيع الدول مواجهة الظروف الاقتصادية العالمية بتكاتف عقولها وأيديها وأموالها في ورشة عمل مشترك من أجل اقتصاد متحرر لا يخضع لضغط خارجي[١٠].

ونصل في ختام طرح المشكلة الاقتصادية إلى مجموعة من المتطلبات التي تساهم في حلها في ضوء «الكمنويلث» الإسلامي، التي تتراوح بين الجانب الفني والتربوي والأخلاقي، ومنها:

١- الاعتبار للبعد الاجتماعي؛ فأي مشورة تهدف إلى وضع نظام اقتصادي أو إصلاح نقائصه، ينبغي إذن أن تضع في حسابها العناصر غير الاقتصادية، وبهذا تلتقي مرة أخرى مع أسبقية «عالم الحياة الاجتماعي» على «المهندس الاجتماعي»، وأي تجربة تغفل في بدايتها هذه العلاقات الأساسية لا تكون سوى نظرية مقضي عليها بالفشل.

٢- من الضرورات الأساسية لبناء اقتصاد إسلامي التفكير -أيضاً- في الشروط الفنية التي يتطلبها التوفيق بين معادلة إنسانية معنية خاصة بالبلدان المتخلفة والمعادلة الاقتصادية للقرن العشرين.

٣- الوعي الاقتصادي، أو تقديم «الواجب على الحق»؛ تنطلق هذه الفكرة من مقولة النبوة: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، فاليد التي تعطي خير من اليد التي تتقبل، عن تحويل التركيز من الحق إلى الواجب ليس بالأمر الذي يأتي عفواً أو بالمصادفة، لأنه تحويل العادات وطبائع منسجمة مع ما في الإنسان من ميل طبيعي إلى منطق السهولة مدعماً من «ديما جوجيا» القرن العشرين التي نصبت من «الأنا» وثناً جديداً يعبده الفرد في المجال السياسي باسم الحرية، وفي المجال الاقتصادي باسم الحقوق[١١].

٤- مواجهة احتكار الغرب للأسعار التي تناسبه؛ يحدد الغرب الذي يملك الكتلة النقدية الأسعار التي تناسبه، دون النظر إلى من يملك المواد الأولية أو التناسبية بين من يملك المواد الأولية ومن يملك العملة، حيث يقوم الغرب (الاستعمار) بتسعير أسعار السلع التي ينتجها التي يعتمد في إنتاجها على مواد أولية لا يملكها، ولمواجهة هذا الاحتكار يتطلب إنشاء كتلة المادة الأولية في مواجهة الكتلة النقدية، وهو ما في استطاعة البلاد الأفروآسيوية عامة ومن ضمنها البلاد الإسلامية خاصة[١٢].

إن الإستراتيجية التي يقدمها مالك بن نبي لحل المشكلة الاقتصادية لا تقوم على تكديس المال والأشياء والرغبة في بلوغ الغنى المالي، ولكن تقوم على غنى الإرادة الفردية والرغبة الجماعية في تحقيق الاستقلال الاقتصادي عبر عملية الإنتاج الحقيقي، مع الانتباه لزيف نظرية «الحاجات» التي لا نهاية لها، التي ظهرت في نزعات الاستهلاك اللامتناهية في المشروع الاقتصادي للعولمة واختراق الإنسان المسلم أيضاً، وهو ما يتطلب تدخل المشروع الأخلاقي والفكرة الأخلاقية والقيم كمرتكز أساس للمشروع الاقتصادي الإسلامي في ظل وحدة حقيقية أو «كمنويلث» إسلامي ينظر إلى تعدد العالم الإسلامي على أنه مصدر غنى وليس مصدراً للاختلاف والتنازع والتطاحن الداخلي.■

الهوامش

(١) مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، بيروت، دار الفكر المعاصر، ٢٠١٤، ص٨.
(٢) المسلم في عالم الاقتصاد، ص٧.
(٣) المسلم في عالم الاقتصاد، ص٧١.
(٤) المسلم في عالم الاقتصاد، ص٧٧.
(٥) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، بيروت، دار الفكر المعاصر، ٢٠١٣، ص٣٧.
(٦) المسلم في عالم الاقتصاد، ص٨٧.
(٧) المسلم في عالم الاقتصاد، ص٨٢.
(٨) المسلم في عالم الاقتصاد، ص٨٣.
(٩) الكمنويلث الإسلامي مشروع اقترحه مالك بن نبي بعد سقوط الخلافة في العصر الحديث، وهو بديل لوحدة العالم الإسلامي أمام التكتلات العالمية التي أخذت في الظهور منذ بداية القرن العشرين (انظر: مالك بن نبي: فكرة كمنويلث إسلامي، دمشق، دار الفكر، ٢٠١٤).
(١٠) المسلم في عالم الاقتصاد، ص١٠٢.
(١١) المسلم في عالم الاقتصاد، ص٨٩.
(١٢) المسلم في عالم الاقتصاد، ص٣٣.

الرحمة العالمية
RAHMA INTERNATIONAL
جمعية الإصلاح الاجتماعي
التميز في العمل الخيري

دار الخير التنموي

أكبر مجمع تنموي شامل لرعاية الأيتام

قيمة السهم: 100 د.ك

KhairOnLine.Net

السودان

تركيا تجدد الثقة بـ«أردوغان»

د. سعيد الحاج

في انتخابات وصفت بأنها تاريخية ومصيرية، وبعد يوم طويل وحافل شارك فيه عشرات ملايين الناخبين، جدد الشعب التركي الثقة بـ«أردوغان» رئيساً للدولة التركية، وفق النظام الرئاسي المقرّ قبل سنة في استفتاء شعبي. لم تكن تلك الانتخابات مثل أي من سابقاتها التي خاضها العدالة والتنمية منذ تأسيسه في عام ٢٠٠١م وأول انتخابات خاضها وفاز فيها في عام ٢٠٠٢م، عوامل وأسباب كثيرة جعلت تلك المعركة حساسة ومحورية، بل وصفها البعض بالتاريخية والفارقة، في مقدمة تلك الأسباب بدء تطبيق النظام الرئاسي بعدها، بما يحمله النظام الجديد من صلاحيات للرئيس والسلطة التنفيذية.

كان للنظام الرئاسي تأثيره في التحالفات الانتخابية التي شهدتها تركيا للمرة الأولى بشكل رسمي وقانوني في الانتخابات التي أجريت في الرابع والعشرين من يونيو الماضي، التي كان من نتائجها توافق ٤ أحزاب معارضة معروفة تحت إطار «تحالف الأمة» في الانتخابات البرلمانية، ومحاولتهم تأجيل الحسم في الانتخابات الرئاسية إلى جولة إعادة يمكنهم خلالها التوافق لدعم المرشح الذي سينافس «أردوغان».

كما أن الانتخابات أتت بعد ١٦ عاماً من الحكم المتواصل لـ«أردوغان» والعدالة والتنمية؛

الأمر الذي دفع الكثيرين للتشكيك بإمكانية نجاحهما هذه المرة، فضلاً عن شركات استطلاع الرأي التركية التي لم تعط أياً منهما احتمالية للفوز بنسبة كبيرة ومريحة، إذ لم تتوقع أي منها فوز «أردوغان» بأكثر من ٥٤٪ ولا العدالة والتنمية بنفس نسبته في آخر انتخابات برلمانية.

أخيراً، فإن الانتخابات أتت في ظروف استثنائية، فهي انتخابات مبكرة عن موعدها بسنة و٥ أشهر، وبعد انقلاب فاشل في عام ٢٠١٦م، وفي ظل حالة الطوارئ المستمرة منذ ذلك الحين، وفي منطقة ملتهبة الأحداث، وبعد تراجع ملحوظ لليرة التركية أمام العملات الأجنبية.

بالأرقام

بمجرد انتهاء الاقتراع وقبيل منتصف الليل، كانت نسبة ٩٩٪ من الصناديق قد فرزت؛ وبالتالي أعلن عن النتائج الأولية غير الرسمية، كما أعلن رئيس اللجنة العليا للانتخابات «سعدي جوفان» أن اللجنة ستعلن النتائج الرسمية النهائية في الخامس من يوليو بعد البت في كل الطعون والشكاوى التي وصلتها، وفي العادة، لا تختلف النتائج النهائية الرسمية عن الأولية كثيراً.

وفقاً للنتائج الأولية؛ حصل «أردوغان»، مرشح العدالة والتنمية وتحالف الجمهور أو الشعب، على ٥٢,٥٪، بينما حل في المركز الثاني مرشح حزب الشعب الجمهوري «محرم إينجة» بنسبة ٣٠,٧٪، ثم مرشح الشعوب الديمقراطي «صلاح الدين دميرطاش» بنسبة ٨,٤٪، ثم مرشح الحزب الجيد «ميرال أكشنار» بنسبة ٧,٣٪، بينما تحصّل كل من المرشحين الآخرَيْن على نسبة أقل من ١٪.

وعلى صعيد الانتخابات البرلمانية، حل حزب العدالة والتنمية مرة أخرى في المركز الأول مع تراجع نسبته إلى ٤٢,٢٪ من الأصوات ما منحه ٢٩٠ مقعداً برلمانياً، ثم الشعب الجمهوري بنسبة ٢٢,٧٪ ما منحه ١٤٦ مقعداً، ثم الشعوب الديمقراطي بنسبة ١١,٥٪ ما منحه ٦٨ مقعداً، ثم الحركة القومية بنسبة ١١,٢٪ ما منحه ٤٩ مقعداً، ثم الحزب الجيد بنسبة ١٠,١٪ ما منحه ٤٧ مقعداً.

وفيما يتعلق بالتحالفات الانتخابية، حصل تحالف الجمهور/الشعب المكوّن من العدالة والتنمية والحركة القومية (ومعهما ضمنياً الاتحاد الكبير) على أغلبية البرلمان بنسبة ٥٣,٤٨٪؛ ما يعادل ٣٣٩ مقعداً برلمانياً، في مقابل نسبة ٣٤,٢٩٪، و١٩٣ مقعداً برلمانياً لتحالف الأمة المعارض المشكّل من أحزاب الشعب الجمهوري والجيد والسعادة (ومعهم ضمنياً الحزب الديمقراطي).

جغرافياً وعلى صعيد المحافظات، تقدم «إينجة» كما كان متوقعاً في إزمير قلعة حزب الشعب الجمهوري بنسبة ٥٤٪، وتقدم «دميرطاش» في ديار بكر قلعة الشعوب الديمقراطي بنسبة ٦٤٪، بينما فاز «أردوغان» وتقدم في ٦٣ من أصل ٨١ محافظة تركية، وبلغت نسبه الأعلى في محافظات البحر الأسود ووسط الأناضول، بينما بدا وكأن إسطنبول وأنقرة قد تصالحتا مع «أردوغان» بعد نتيجة الاستفتاء العام الماضي، ففاز فيهما بنسبتي ٥٠٪ و٥١,٥٪ على التوالي.

الدلالات والانعكاسات

ثمة نتائج وانعكاسات ودلالات كثيرة للانتخابات الرئاسية والبرلمانية التركية، أهمها:

- تثبيت النظام الرئاسي بعد فوز «أردوغان» وتحالف الجمهور/الشعب وفشل المعارضة في تحقيق الفوز؛ ما يعني مباشرة تطبيقه بعد هذه الانتخابات مباشرة، وفتح صفحة جديدة في الحياة السياسية التركية.

- ثبات ظاهرة اسمها «رجب طيب أردوغان» في تاريخ تركيا الحديث، فاز بالانتخابات بنسبة أكبر من التي سبقتها رغم كل ما سبق تفصيله من أهميتها وحساسيتها وتحالف المعارضة وعدد المرشحين المنافسين الكبير، وأيضاً رغم تراجع نسبة التصويت لحزبه بشكل ملحوظ، ليسجل الانتصار الانتخابي الـ١٣ على التوالي منذ عام ٢٠٠٢م، وهي إحصاءات وإشارات وقرائن تثبت عدم مبالغة من يجنحون لمقارنته بـ«مصطفى كمال أتاتورك»، مؤسس الجمهورية التركية، ومن يطلقون على مشروعه لتركيا اسم «الجمهورية الثانية».

- استقرار الأوضاع في تركيا في الفترة المقبلة بعد انقشاع حالة الضبابية والحسابات المرتبطة بالحملة الانتخابية وتوقعات النتائج، وفي ظل التناغم الحادث بين الرئاسة وأغلبية البرلمان، بما سينعكس إيجابياً على تركيا في الداخل والخارج.

- خريطة جديدة للبرلمان، بدخول حزب خامس هو الحزب الجيد بقوة للبرلمان، إضافة لبعض الأسماء من الأحزاب الصغيرة التي ترشحت على

الانتخابات أتت في ظروف استثنائية فهي مبكرة وبعد انقلاب فاشل وفي ظل حالة طوارئ

«أردوغان» حصل على ٥٢.٥٪ و«إينجة» ٣٠.٧٪ و«دميرطاش» ٨.٤٪ و«أكشنار» ٧.٣٪

العدالة والتنمية حصل على ٤٢.٢ ٪ والشعب الجمهوري ٢٢.٧ ٪ والشعوب الديمقراطي ١١.٥ ٪ والحركة القومية ١١.٢ ٪

قوائم الأحزاب الكبيرة، يعني ذلك توازنات جديدة داخل البرلمان واحتمال إعادة التموضع بين التحالفات، وانعكاسات كل ذلك على العلاقة بين البرلمان والرئاسة.

– موجة قومية في البرلمان الجديد: تركياً من خلال زيادة حزب الحركة القومية لأصواته ودخول الحزب الجيد (المنشق عنه) بقوة، وكردياً بتخطي الشعوب الديمقراطي العتبة الانتخابية وبقائه في البرلمان، وهي مؤشرات مهمة سيكون لها انعكاسات في الطرفين، على صعيد العلاقة التحالفية بين العدالة والتنمية والحركة القومية، وعلى صعيد العلاقة بين الحركة القومية والجيد، وعلى صعيد دور الشعوب الديمقراطي في الحياة السياسية التركية وعودة الملف الكردي –احتمالاً– إلى طاولة صانع القرار التركي.

– تراجع واضح في نسبة التصويت للعدالة والتنمية من ٤٩,٥٪ في انتخابات عام ٢٠١٥م إلى ٤٢,٥٪ وخسارته لأغلبية البرلمان بمفرده، لكن مع الحفاظ عليها ضمن تحالف الشعب، وهي رسالة واضحة من الناخب تتضمن عدم الرضا عن بعض الأمور، وقد تلقفها الحزب وعبر عن ذلك «أردوغان» بوضوح في كلمته بعد الفوز من على شرفة الحزب، ووعد باستخلاص العبر واستدراك الأخطاء في الفترة المقبلة، وهو أمر ضروري لعدم استمرار النزف في رصيد الحزب.

– الفارق الهائل بين نسبة التصويت لحزب الشعب الجمهوري (٢٢,٧٪) ومرشحه للرئاسة «محرم إينجة» (٣٠,٧٪)، وهذه الأخيرة نسبة أعلى من أي نسبة أخرى تحصل عليها الحزب في السنوات القليلة الأخيرة (أعلاها ٢٥٪)، بما يعني أن «إينجة» أظهر نجاحاً أكبر من رئيس الحزب «كمال كيلتشدار أوغلو» الذي سبق أن نافسه على رئاسة الحزب مرتين فشل في إزاحته خلالهما عنها، ولعل النتيجة الأخيرة تعيد نقاش رئاسة الحزب وكفاءتها مرة أخرى للعلن.

– ستكون تجربة النظام الرئاسي لافتة، إذ سيكون هناك فترة بناء المؤسسات ومنظومة العلاقات بينها غالباً وفق رؤية الرئيس «أردوغان» التي أعلنها قبيل الانتخابات، التي تضمنت تقليل عدد الوزارات ودمج بعضها لتخفيف عبء البيروقراطية ورفع مستوى التنسيق.

النظام الرئاسي وسلطته التنفيذية المستقرة وآلية قراره السريعة سينعكس استقراراً وزخماً داخلياً وخارجياً

من دلالات هذه الانتخابات ثبات ظاهرة «أردوغان» في تاريخ تركيا الحديث مقارنة بـ«أتاتورك»

لاحقاً، يفترض أن ينعكس النظام الرئاسي وسلطته التنفيذية المستقرة وآلية قراره السريعة استقراراً وسرعة وزخماً داخلياً وخارجياً، خصوصاً في ملفات الاقتصاد والسياسة الخارجية والأمن القومي.

في الختام، يستحق الشعب التركي تحية على المشهد الحضاري الذي قدمه في انتخابات حساسة وضخمة ومعقدة الحسابات، لكن دون أحداث تذكر بل بكل سلاسة، وبتواضع المنتصر واعتراف المهزوم، وبعودة الحياة السياسية لوتيرتها العادية بعد سخونة الحملات الانتخابية.

وتدخل تركيا، من جهة أخرى، مرحلة جديدة في تاريخها الحديث وتجربة العدالة والتنمية عنوانها «النظام الرئاسي وتجديد الثقة لأردوغان وتحالفه»؛ الأمر الذي سنتابع نتائجه وارتداداته في المستقبل على المديين القريب والبعيد. ■

الاقتصاد التركي ما بعد الانتخابات

شهدت تركيا في الرابع والعشرين من يونيو ٢٠١٨م عرساً ديمقراطياً، كان الفائز فيه الشعب التركي قبل الرئيس «رجب طيب أردوغان»، حيث اختار هذا الشعب المسلم العظيم الاستقرار، وأرسى مبادئ الديمقراطية التي من خلالها تنبع الحرية السياسية ومن ثم الحرية الاقتصادية.

كتب - د. أشرف دوابه:

شهد الاقتصاد التركي منذ الإعلان عن الانتخابات تلاعباً بالليرة التركية تحركها يد خفية ترغب في الانقلاب الاقتصادي على تركيا بعد أن أفشل الشعب الانقلاب العسكري في ١٥ يوليو ٢٠١٦م، وقد انعكس هذا التلاعب في تغذية التضخم ورفع الأسعار، طمعاً في إثارة الشارع التركي، وهو ما دعا البنك المركزي لرفع سعر الفائدة بمقدار ٣٠٠ نقطة للحد من التضخم والحيلولة دون «الدولرة»، كما أن الشارع التركي الواعي فهم جيداً حجم المؤامرة وأعطى للمتآمرين درساً لن يتوقف.

ومع انتفاء حالة عدم اليقين جزئياً، وفور إعلان انتخاب «أردوغان» رئيساً مساء يوم الأحد ٢٤ يونيو، شهد سعر صرف الليرة التركية تحسناً، حيث تفوقت الليرة على الدولار، ليصل سعر صرف الدولار إلى ٤,٥٣ ليرة، بعد أن كان ٤,٦٦ ليرة في يوم الجمعة ٢٢ يونيو، كما ارتفعت الليرة أمام الدولار بشكل قوي في الأسواق الناشئة، ووصلت نسبة الارتفاع ما يقارب ٣٪ أمام الدولار بعدما خسرت نحو ٢٠٪ من قيمتها مقابل العملة الأمريكية خلال العام الحالي.

ورغم هذا الارتفاع، فإن تذبذب سعر صرف الليرة رغم تحسنه ما زال مستمراً، حيث انخفض سعرها ليصل سعر صرف الدولار نحو ٤,٦١ ليرة، وهذا شيء متوقع، فالظروف الفنية الإيجابية على التداولات في وضعها الحالي يتناسب مع تلك المرحلة التي ستشهد إعلاناً لنتائج الانتخابات بصفة نهائية وتشكيل الحكومة وانعقاد البرلمان ووضوح الصورة كاملة، ومن المتوقع أن تزداد الليرة تحسناً في المستوى المتوسط لا سيما في ظل السياسة المتوقعة للرئيس «أردوغان» لتشجيع الاستثمار والصادرات، بتخفيض سعر الفائدة ومنح حوافز ضريبية ومن ثم تخفيض تكلفة الاستثمار.

ولم يتوقف التحسن على الليرة التركية، بل امتد إلى البورصة التركية، حيث شهد مؤشر بورصة إسطنبول المئوي «آي سي إيه» ١٠٠ ارتفاع في تداولات الأسبوع الجديد الذي أعقب الانتخابات الرئاسية والبرلمانية التركية بنسبة ٣,٥٥٪، حيث بدأ المؤشر في تداولات الإثنين عند ٣,٤٠٣,٦٦ نقطة، ثم ارتفع المؤشر بنسبة ٣,٥٥٪، مسجلاً ٩٩,٢٥٥,٧٦ نقطة.

كما سجلت بورصة إسطنبول ارتفاعاً في أسعار ٣٠ مؤشراً بسوق العقود الآجلة بنسبة ٢,٥٪، وزاد الإقبال على السندات التركية من قبل المستثمرين الأجانب، وارتفعت السندات المقومة بالدولار (استحقاق عام ٢٠٢٢م) وما بعده، وحقق الإصدار المستحق في العام ٢٠٤٠م أكبر مكاسب يومية منذ عام ٢٠١٣م، إذ ارتفع ٢,٨٩٨ سنت ليصل إلى أعلى مستوياته في ثلاثة أسابيع عند ٩٣,٦٩٨ سنت، وإن أغلقت الأسهم منخفضة في نهاية تداولات الإثنين حيث سحبت المؤشرات للأسفل، وقد كانت الخسائر في قطاع السلع المعدنية والمعادن والبنوك والمؤسسات المالية حيث فقد مؤشر «آي إس إيه» ١٠٠ نحو ١,٩٢٪.

وقد عاود المؤشر في الارتفاع بنهاية تداولات يوم الثلاثاء ٢٦ يونيو ليصل إلى ٩٤,٤٠٨,١٩ نقطة بارتفاع ٠,٤٣٪ عن اليوم السابق.

وهذه التذبذبات في البورصة التركية أمر طبيعي في ظل تلك المرحلة وتتناسب مع طبيعتها، والمستقبل قادم للاقتصاد التركي بإذن الله تعالى ليكون ضمن أكبر عشرة اقتصاديات في العالم عام ٢٠٢٣م، لا سيما بعد اقتراب ناتجه المحلي الإجمالي من ٩٠٠ مليار دولار، وصادراته ١٦٠ مليار دولار، وإيراداته السياحية ٣٠ مليار دولار، والتوجه بقوة نحو زيادة هذه الأرقام، إضافة إلى بناء مشروعات لها مردود اقتصادي كبير كمشروع مطار إسطنبول الجديد الذي يعد أكبر مطار في العالم، ومشروع خط غاز السيل التركي بين روسيا وتركيا الذي سيحول تركيا إلى منطقة توزيع عالمية للطاقة، ومشروع قناة إسطنبول الجديدة، فضلاً عن العديد من مشروعات البنية التحتية التي أقامتها تركيا دون أن تدفع ليرة واحدة في تمويلها اعتماداً على نظام البناء، التشغيل، التحويل (BOT).■

الهند

تقرر إنهاء الحكم المدني في كشمير!

انفجرت أزمة سياسية في إقليم كشمير الواقع تحت السيطرة الهندية، وذلك بعد انهيار التحالف السياسي في كشمير بين حزب الشعب الهندوسي الحاكم في الهند والجماعات الكشميرية بقيادة محبوبة مفتي، وأعلنت السلطات الهندية في الإقليم أن أغلب أفراد الحزب المتحالف مع الحكومة قدموا استقالتهم الجماعية من البرلمان وقرروا الاستقالة من الحكومة والبرلمان ومن جميع مناصبهم، وذلك بعد قرار حزب الشعب الهندوسي فك ارتباطه بالتحالف.

إسلام آباد - ميديا لنك:

هناك مخاوف من أن تدخل المنطقة في مرحلة أكثر خطورة على حقوق الإنسان

رغم القمع الذي تقوم به الحكومة الهندية فإنها فشلت في حمل الكشميريين على وقف احتجاجاتهم

رئيس القوات الهندية اعترف بأن التعامل مع الأزمة أمنياً وسّع الهوة في المنطقة

كشمير باتت تمثل نزيفاً حقيقياً للمنطقة ومصدر قلق في الهند ومعاناة مستمرة

وفق القانون الهندي، فإن انهيار الحكومة سيؤدي آلياً إلى فرض الحكم المباشر على الإقليم، وتعطيل البرلمان ومؤسسات الدولة فيه، وتحويل عملية الإشراف عليه إلى الجيش الهندي باعتبار الإقليم من المناطق المتنازع عليها التي تشهد نزاعاً مسلحاً وتمرداً منذ فترة.

وتشير التقارير المحلية إلى أن التطورات الجديدة في كشمير ستؤدي إلى مضاعفة القوات الهندية من إجراءاتها القمعية في الإقليم؛ إذ إن انهيار الحكم المدني وتحوله إلى الحكم العسكري سيعني أن الوسائل السلمية ستكون من الماضي، وأن الجيش سيشدد قبضته على الإقليم باستخدام وسائل أكثر قوة وشدة مع الاستقلاليين والمتظاهرين والرافضين للحكم الهندي عليهم، ويُخشى بعد انهيار التحالف السياسي أن تدخل المنطقة في نفق مظلم.

وبسبب استمرار المواجهات والاحتجاجات، وعدم قدرة الحكومة المحلية بقيادة حزب الشعب الهندوسي الحاكم (بي جي بي) على الاستمرار في أداء مهامها، قرر الحزب تقديم استقالته من منصبه، وأعلن عن انهيار التحالف الحاكم في الإقليم بين الحزب وأحزاب كشميرية تقودها محبوبة مفتي.

ورفض بدوره زعيم المعارضة في البرلمان الكشميري عمر عبدالله أن يتولى منصب رئيس الحكومة

في الإقليم بعد انهيار الحكومة فيه، وعدم قدرة التحالف على الاستمرار في الإشراف على منطقة مشتعلة ولا يمكن السيطرة عليها.

وكانت استقالة حزب الشعب وانهيار التحالف الحاكم قد تزامن مع استقالة جماعية للبرلمانيين الكشميريين بسبب الأوضاع الأمنية الخطيرة، وممارسة الحكومة الهندية وقوات الجيش والأمن العنف، والاستخدام المفرط للقوة ضد المحتجين من الاستقلاليين الكشميريين.

ويقول الكشميريون: إنه إذا قررت الهند فرض الحكم المباشر على الإقليم، ومنح الجيش مسؤولية الإشراف عليه بشكل مباشر، وأبعدت المدنيين، فإنه سيتحول إلى ثكنة عسكرية جديدة، وسيُحرم السكان من أبسط حقوقهم المدنية والإنسانية، وستتسع رقعة الإجراءات التعسفية والمظالم في حق المجتمع الكشميري.

وتخشى الأحزاب الكشميرية والقيادات البارزة، وعلى رأسها زعيم الاستقلاليين الشيخ سيد علي كيلاني، ومير واعظ عمر فاروق، وياسين ملك، من أن تدخل المنطقة في مرحلة أكثر خطورة على حقوق الإنسان، وعلى الحكم الديمقراطي، ودعوا إلى الخروج الجماعي في مظاهرات تطالب بوقف الجيش عن قمع مطالبهم، وفرض منطق الاستسلام عليهم، ومنعهم من مواصلة الدعوة إلى الاستقلال عن الهند وتحقيق مطالبهم العادلة في الإقليم.

حوار حقيقي

ورغم عمليات القمع التي تقوم بها الحكومة الهندية منذ حوالي ٣ سنوات في الإقليم، وسعيها إلى قمع الاحتجاجات، والضغط على باكستان بقصف أراضيها وسقوط مئات الباكستانيين قتلى؛ فإنها فشلت في تحقيق تقدم يُذكر في حمل الكشميريين على وقف احتجاجاتهم، وفشلت في حمل باكستان على وقف دعمها لهم.

وظهر أنه بعد حوالي ٣ سنوات من الاحتجاجات والمظاهرات وسقوط القتلى والجرحى وتعطل الحياة بشكل كبير في الإقليم؛ فإن الحكومة الهندية باتت غير قادرة على الصمود ومواصلة تدابيرها الأمنية، واليوم تبحث عن مخرج لهذه الأزمة، وحل ينهي الصراع الدموي ومسلسل الاضطرابات التي كلفتها مئات الملايين من الدولارات طيلة هذه السنوات.

فقد اعترف رئيس القوات الهندية بأن التعامل مع الأزمة أمنياً قد وسع الهوة في المنطقة، وزاد من تفاقم الأوضاع الأمنية والسياسية، ولم يحقق للمنطقة استقراراً يُذكر، واعترف القائد الأول للجيش الهندي بأنه بات ضرورياً البحث عن حلول غير عسكرية لإنهاء النزاع في إقليم كشمير، وعدم الاكتفاء بالتعامل مع الاحتجاجات بمنطق القوة والعنف.

ولم يكن هذا رأي رئيس الجيش الهندي وحده، بل شاركه رئيس المخابرات الهندية، وكذلك مستشار الأمن القومي الهندي، فهم جميعهم يشعرون أنه يجب ألا تبقى الأزمة أمنية بحتة، بل ينبغي الشروع في حوار مباشر مع باكستان التي تعتبر الطرف الرئيس في الأزمة، وتطالب بإنهاء معاناة الكشميريين، وتقف خلف مطالبهم الاستقلالية.

فتح باب الحوار

وفي رأي عامر رانا، رئيس معهد باكستان لدراسات السلام، فإن اعتراف كبار القادة العسكريين والأمنيين في الهند بضرورة فتح باب الحوار والتفاوض مع باكستان، والبحث عن مخرج يرضي جميع الأطراف، لم يكن بأي حال من الأحوال نوعاً من التدخل في شؤون الآخرين؛ فقد أثبت هذا المنطق أن الصراع لن يشهد أي حل سريع، ولن تشهد الأزمة أي مخرج سلمي لها.

وكانت آخر تلك الاعترافات تصريحات زعماء الحزب الحاكم في الهند الذين باتوا مقتنعين بأنه لن يتحقق الاستقرار في إقليم كشمير بمنطق القوة، وأنه يجب ضم باكستان والكشميريين إلى الحوار الحقيقي والمفاوضات الجادة، والبحث عن المخرج الآمن والعادل لهذه القضية.

ولم يكن المسؤولون الأمنيون والعسكريون والسياسيون وحدهم متمسكين بهذه التصريحات؛ بل أيدهم فيها قادة المجتمع المدني في الهند، ورجال الإعلام البارزون، وكبار رجال الأعمال، والفنانون؛ حيث يعتقدون أن سمعة الهند تضررت بسبب مواصلتها قمع مطالب الكشميريين واستمرارها في قتل المدنيين العزل، وأجمع هؤلاء على أن كشمير باتت تمثل نزيفاً حقيقياً للمنطقة، ومصدر قلق في الهند، ومعاناة مستمرة لسكان إقليم كشمير الذين يبحثون عن حل سياسي لأزمتهم، ومخرج يؤمن لهم ممارسة حياتهم السياسية والمعيشية دون تدخل من أحد. ■

خلال ندوة بالدوحة..

مطالبات بجعل القدس أولوية عربية وإسلامية

دعا فقهاء من دول عربية وإسلامية إلى ضرورة إيلاء قضية القدس الأولوية الكبرى في اهتمامات العرب والمسلمين، كونها قضيتهم المركزية والأولى لهم، في ظل ما تتعرض له من تحديات، على رأسها التهويد.

وشددوا، خلال ندوة دينية شهدتها العاصمة القطرية الدوحة، بعنوان «قضية التجديد في الفقه الإسلامي»، على ضرورة الحفاظ على ثوابت الأمة العربية والإسلامية، وصونها من معاول الهدم والتغيير، بما يؤدي إلى تماسكها، وعدم تفتيتها، في ظل المحاولات الرامية.

• د. نور الدين الخادمي

• د. محمد بولوز

الدوحة - عمرو محمد

تناول المتحدثون موقف فقهاء الأمة من دعاوى تجديد الدين وتجديد الخطاب الديني، وما إذا كان التجديد يشمل الخطاب الديني، أم أنه يقتصر على تجديد الفقه ليستوعبه العصر، معرجين على واقع «الاجتهاد» في الوقت الراهن، وما إذا كانت المجامع الفقهية قد استطاعت أن تؤمن للأمة «اجتهادات» فيما جدّ من نوازل وقضايا.

وحذر الشيخ د. حسن العلمي، أستاذ التعليم العالي بجامعة ابن طفيل، وعضو اتحاد علماء المسلمين، من خطورة الانسياق وراء محاولات الغرب في هدم ثوابت الأمة وانتهاك مقدساتها وتفتيت وحدة المسلمين، وفصلهم عن قضاياهم مثل قضية فلسطين، وأن يتم تبني البعض لهذه الدعاوى تحت شعار ««تجديد الخطاب الديني»»، مشدداً على أهمية أن تكون قضية القدس هي قضية العرب والمسلمين الأولى، وفي محور اهتماماتهم.

كما حذر د. العلمي من خطورة أن يكون فهم التجديد لدى البعض بأنه «ثورة على القديم، بكل ما يحمله من ثوابت وقيم»، منوهاً بدور الدعاة الذين أفنوا أعمارهم في مواجهة أعداء الشريعة الإسلامية والذود عن أصولها والإغارة على النصوص وإبطال الثوابت بدعوى العصرنة والتحديث.

منصة ثابتة

أما الشيخ د. محمد يسري إبراهيم، أمين عام الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، ووكيل جامعة المدينة العالمية، فاعتبر التجديد فرعاً شرعياً ينطلق من منصة تاريخية ثابتة في تاريخنا القديم والمعاصر، وعندما نتحدث عن التجديد، فإننا نتحدث عن جوهر نحفظه وعن أصالة نحميها، وهكذا فعل الصحابة والتابعون في زمانهم، وهكذا فعلت الأمة في كل زمنٍ انتشرت فيه وبلغت فيه مبلغاً عظيماً من الحضارة والقيام بواجباتها في التجديد.

• د. محمد يسري إبراهيم

ورأى أن التجديد الذي نتحدث عنه زاحمته مصطلحات أخرى تتحدث عن تبديل الأفكار، وعن إسلام عصراني وآخر عقلاني وتارة اشتراكي أو رأسمالي، إسلام تقام فيه معركة للإبقاء على صورته وشكله ومظهره والذهاب بمضمونه وأصوله هو تجديد مرفوض أقرب إلى التبديد، وهذا التبديد لا يقبله الإسلام.

وقدّم شرحاً للتجديد بأنه إضافة ونسخ في علاقتنا بهذا الدين، لا نملك أن نضع عليه شيئاً من أذهاننا وأفكارنا غير أننا نمايز ما بين الأصول الشرعية الثابتة في الكتاب والسُّنة والعمل الذي نؤديه نحن في كتاب الله عز وجل وسُنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

طبيعة التجديد

وبدوره، شدد د. نور الدين الخادمي، وزير الشؤون الدينية السابق بتونس، على ضرورة أن يكون تجديد المصطلحات في الخطاب الديني كمصطلحات الفقه الإسلامية التي تستجيب للعصر، علاوة على المصطلحات القضائية التنموية المتعلقة بالأحكام الشرعية كنظام الزكاة والوقف والزواج، إذ لا حرج أن نجدد مؤسساتنا وإجراءات عملنا ومصطلحات خطابنا وأساليب النشر والبحث والتأليف في المجال الفقهي.

ولفت إلى ضرورة أن يكون الخطاب خطاباً عصرياً مؤسسياً بوسائل عصرية وبتقنيات حديثة ليخاطب الشباب في قضاياهم،

على نحو موضوعات العنوسة، الانتحار، زيادة الجريمة، العمران، وحدة الأوطان، وحقوق الإنسان، مؤكداً أن التجديد يُعد من المسائل الكبرى في الشرع الإسلامي، سواء في أصوله ونصوصه وتراثه أو مؤسساته، ويعد إحدى المقولات المعرفية المنهجية الواقعية التي تمثل حيزاً من التدوين العلمي والتأصيل الشرعي، لذلك فإن حديثنا عن التجديد لا بد أن يبدأ بأصالة هذا التجديد الذي تناولته أحاديث كثيرة، أشهرها حديث ابن داود «أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

وأوضح أن التجديد في المتغير يكون بكل ما يتأثر بالزمان والمكان والحال، وهو موضوع التجديد والبحث بما هو أفضل في الوسائل والمخرجات وما يحقق مصلحة أكبر، أما الثابت والقطعي فهو ثابت ومستقر بناء على موضوعه ولغته ومراد الشارع، كأصول الاعتقاد والأخلاق والشريعة وتفاصيل العبادات مما هو تعبدي، وهي أمور لا تقبل التجديد.

ومن جانبه، دعا د. محمد بولوز، أستاذ التعليم العالي بالمركز التربوي الجهوي بالرباط، إلى تجديد المناهج بالجامعات العربية والإسلامية، وأن يتم تداول مخرجات المجامع الفقهية على مستوى أطروحات الماجستير والدكتوراه، علاوة على ضرورة تحديث الباحثين في الفقه الإسلامي لأنفسهم باستخدام التكنولوجيا ومختلف اللغات لنقل مستجدات الفقه إلى المجتمع، وحتى يتسنى الوصول إلى الجاليات غير المسلمة التي تتحدث بلغات أخرى، حتى لا يبقى الفقه حبيساً بالأدراج.■

مقال

أيديولوجية ثقافة الاستهلاك

د. زيد بن محمد الرماني
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إنّ المشروع الفكري للرأسمالية هو إقناع الناس بأن يستهلكوا أكثر من حاجاتهم البيولوجية الطبيعية ليسهموا في استمرار عملية تراكم رأس المال بغية الربح الخاص.

وبكلمات أخرى للتأكد من أنّ النظام الرأسمالي العالمي مستمر للأبد، إذ تعلن ثقافة فكر الاستهلاك حرفياً أنّ معنى الحياة يوجد في الأشياء التي تملكها، وبذلك فأن نستهلك يعني أننا أحياء تماماً، ولكي نبقى أحياء تماماً يجب أن نستهلك باستمرار.

إنه الآن أمر عادي تقريباً أن يصنف المجتمع شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً، فقيراً أو غنياً على أنه مجتمع استهلاكي.

فعلى ما يبدو أنه ليس هناك شيء أو أحد محصن ضد التحول إلى سلعة، والتحول إلى تجارة، وضد أن يُشرى ويُباع، إنّ ما يدعى عادة بالثقافات المضادة يندرج في ثقافة الاستهلاك وتثير تهديداً صغيراً.

وبالفعل بتقديمها كلاً من التنوع والخيارات الحقيقية والوهمية، فإنها تصبح مصدراً لقوة عظيمة للنظام الرأسمالي العالمي وللثراء الشخصي لأولئك القادرين على التمتع بغزارة ووفرة الصيغ الثقافية المتوافرة بشكل غني عن البيان.

لقد استطاعت حركات البيئة في بعض صيغها أن تتحدى الأيديولوجية الثقافية للاستهلاكية بالتأكيد، لكن دليلاً من قمة الأرض في «ريو» عام ١٩٩٢م برهن على أنّ بعضاً من نماذجها الرئيسة على الأقل ظهر على أنه على طريق عملية الاندماج، وأنّ أولئك الذين يرفضون الاندماج يهمشون، إنّ تحضير الشركة في كل من تظاهراتها الأصلية والمزيفة جاري مجراه بشكل جيد، لكن الشركات هي التي تسيطر وبإحكام على العملية وليس الخضر.

إن أيديولوجية ثقافة الاستهلاك قد تخدم أدواراً مختلفة لفئات اجتماعية مختلفة وحتى لمجتمعات مختلفة، وبشكل واضح فإن أيديولوجية ثقافة الاستهلاك غير ضرورية لتوضيح لماذا يطعم الجائعون أنفسهم، ولماذا يكسو المقرورون أنفسهم، بينما هي تساعد فعلاً في توضيح سبب تناول الوجبات السريعة، ولماذا يغرق الناس في الديون من أجل شراء مجموعات عديدة من الملابس والسيارات الغالية.

والأمر الأكثر تحدياً هو اللغز الغامض في سبب تحدي الفقراء الواضح في البلاد الغنية والفقيرة على السواء، للتعقل والاتزان الاقتصادي بشرائهم للماركات العالمية الغالية لكي يزوّروا إحساساً معيناً بالهوية، شيء لا نستطيع أن ندعوه إلا بالمعنى السوقي للكلمة، رموز الحداثة.■

الحراك الأردني..
وتجاذب القوى المحلية والإقليمية

باغتت احتجاجات الشارع الأردني كافة الأوساط السياسية الرسمية وغير الرسمية في المملكة؛ فدعوات الاحتجاج والإضراب التي أطلقت عنانها النقابات يوم ٣٠ مايو الماضي في أعقاب إعلان حكومة الملقي فرض ضريبة جديدة على الدخل توسعت على نحو غير مسبوق، وحظيت باستجابة كبيرة من النقابات والقطاعات التجارية؛ حتى تدخل الملك وقام بتغيير رئيس الحكومة الذي قام بدوره بسحب مشروع القانون لحين إجراء حوار موسع حوله؛ لتطرح تساؤلاً حول الدوافع والأسباب الحقيقية لهذا الحراك المباغت والمتدحرج.

عمّان - حازم عيّاد:

الاحتجاجات في الشارع الأردني عكست منذ اللحظة الأولى عمق الأزمة الاقتصادية في الأردن والمعززة بأزمة سياسية نابعة من ضعف الرقابة وغياب الشفافية والمحاسبة؛ فاتساع دائرة المستهدفين بالضريبة بلورت تحالفاً واسعاً بين الفقراء والطبقة المتوسطة ورجال الأعمال والصناعة، مطلقة العنان لجدل داخلي ساخن اشتركت فيه كافة القطاعات الاقتصادية والشرائح الاجتماعية على مدى أسابيع، مفاقمة حالة الاحتقان الداخلي حول الأسباب الحقيقية للأزمة؛ هل تكمن في الضغوط الخارجية و«صفقة القرن» والمحاور المتصارعة، أم بإشكالية النهج الاقتصادي والسياسي المتبع في البلاد؟

القطاعات الاقتصادية والشرائح الاجتماعية المنهكة من الركود المتولد عن السياسات المالية للحكومة على مدى العامين الماضيين كانت على موعد مع موجة ركود كبيرة، عبّر عنها بتراجع النمو الاقتصادي إلى ما دون ٢٪ وارتفاع البطالة لتتجاوز سقف الـ١٨٪، أزمة عميقة تبلورت فصولها على مدى السنوات الست الماضية منذ انطلاق ثورات «الربيع العربي»، واندلاع الأزمة السورية، وانهيار الجيش العراقي في الموصل عام ٢٠١٤م، والمترافق مع انقطاع إمدادات الغاز المصري.

أزمة سعت الحكومات المتعاقبة تجاوزها من خلال الاقتراض الذي بلغ معدلات عالية تفوق ٣ مليارات دولار سنوياً، لتتجاوز قيمة المديونية العامة في عام ٢٠١٨م نحو ٤٠ مليار دولار، فالدولة كانت أمام

استحقاق كبير، فهي المشغل الأكبر للأيدي العاملة بمعدل ٤٧٪ في كافة المؤسسات البيروقراطية؛ ما دفعها لتمويل جهازها البيروقراطي من خلال البحث عن منح ومساعدات كان أكثرها إثارة للجدل المنحة الخليجية المقدرة بـ٥ مليارات دولار.

أمام ارتفاع نسب المديونية وتراجع اهتمام الدول المانحة وارتفاع نسبة الدين المحلي للبنوك الأردنية التي تمتلك احتياطياً يبلغ ٣٣ مليار دينار محتكرة السيولة المحلية؛ تولد تجاذب عنيف بين القطاعات المالية الخاصة والبيروقراطية الحكومية؛ دفع الحكومة إلى طرح أفكار مقلقة على رأسها إمكانية الاقتراض من مؤسسة الضمان الاجتماعي التي تمتلك ٩ مليارات دينار أردني؛ مهددة بذلك مركز المؤسسة المالي، ومولدة أزمة هددت بتصدع الجهاز البيروقراطي في المملكة الأردنية المرتبط بقوة بهذه المؤسسة وعافيتها.

أمام حالة التجاذب الكبيرة التي تولدت عن الأزمة المالية العجز الكبير في الموازنة، اتجهت الحكومة إلى صندوق النقد الدولي في ظل تراجع اهتمام المانحين، ليبدأ فصل عنيف من التجاذب بين القطاعات الاقتصادية الكبرى؛ إذ تضمنت الخطة الجديدة فرض ضريبة على البنوك تبلغ ٤٠٪ بعد أن كانت تبلغ ٣٥٪؛ مطلقة معركة بين المؤسسة الحكومية المطالبة بتوفير ٣٠٠ مليون دينار رواتب للموظفين والقطاع الخاص المنهك بضرائب العام السابق (٢٠١٧م).

وفي ضوء الطروحات الحكومية المستجدة والمفاوضات الشاقة مع صندوق النقد وشروط البنك الدولي الجائرة، تداعت القطاعات الاقتصادية للإضراب، لتبلغ النقطة الحرجة بإعلان الحكومة رفع أسعار الكهرباء والبنزين؛ ما أدى إلى عصيان مدني عبّر عنه بإيقاف السيارات أمام رئاسة الوزراء لتفجر حالة الاحتقان وينخرط فيها الفقراء والطبقة المتوسطة بقوة.

فاقم الأزمة الاقتصادية تفاعلها مع أزمات الإقليم وعلى رأسها الأزمة الخليجية (أزمة حصار قطر)، والحرب اليمنية، والحرب على الإرهاب؛ وصراع المحاور العربية، وقدوم إدارة جديدة إلى البيت الأبيض برؤيتها الإشكالية والمتطرفة للإقليم والعالم على رأسه القضية الفلسطينية؛ إذ تفاعلت المتغيرات الإقليمية والدولية مع المتغيرات المحلية، أمر برز من خلال توجه حكومة هاني الملقي إلى فرض وجبة جديدة من الضرائب لتضاف إلى وجبة الضرائب المعلن عنها أواخر عام ٢٠١٦م لجني عائدات قدرت بـ٣٥٠ مليون دينار، تضمنت رفع الدعم عن الخبز لرفد الخزينة بأموال تسد العجز وتستجيب لشروط صندوق النقد الدولي الذي طالب بخفض حجم الدين الخارجي بالنسبة للناتج القومي ليصل إلى ما دون ٧٠٪، في حين قفز الدين العام نهاية عام ٢٠١٧م ليقارب ٩٥٪، دافعاً الحكومة مرة أخرى لفرض وجبة جديدة من الضرائب أعلن عنها في نهاية عام ٢٠١٧م.

غير أن الإجراءات الحكومية المطبقة في عام ٢٠١٧م لخفض العجز والاختلالات في المالية العامة للدولة لم تحقق أهدافها بالمطلق، إذ لم تضع بعين الاعتبار احتمال انفجار الأزمة الخليجية، وتأزم الملف الفلسطيني والسوري والعراقي؛ فتراجعت عائدات الضرائب بما فيها المبيعات لتبلغ ٧٪ عما كانت عليه قبل عام، وساد الركود العديد من القطاعات الإنتاجية في البلاد وعلى رأسها القطاع التجاري والزراعي؛ ركود تسارعت مؤشراته بعد اندلاع الأزمة الخليجية.

التجاذبات الإقليمية

بقي تأثير العامل الإقليمي حاضراً ولم يغب بالمطلق عن حالة التدهور والركود الاقتصادي؛ ما دفع الملك عبدالله الثاني إلى مخاطبة الشعب الأردني في أكثر من محفل، داعياً إلى الاعتماد على الذات، خاصة في ظل الخلافات المتفاقمة مع إدارة الرئيس الأمريكي «ترمب» الساعية لتمرير «صفقة القرن»، والداعية إلى نقل السفارة الأمريكية إلى القدس وإنهاء الوصاية الهاشمية على القدس.

تغيُّر ترك أثراً كبيراً على الأردن، فالولايات المتحدة الأمريكية تعتبر المانح الأول للمملكة طول فترة «الربيع العربي» والحرب على الإرهاب، إذ قدمت إدارة «أوباما» للأردن منذ عام ٢٠١٢ إلى عام ٢٠١٧م ما يقارب ١٠ مليارات دولار، بمعدل مليارين دولار على شكل منح باتت مهددة بالتقليص، إذ وقعت عمّان وواشنطن على اتفاقية غير ملزمة لتقديم منح للمملكة قدرت بمليار و٢٥٠ مليون دولار، مع توقع عدم التزامها بتقديم ٧٥٠ مليون دولار كمنح إضافية في ظل تراجع أهمية الحرب على الإرهاب وتوجهات الإدارة الجديدة لتقليص النفقات والمساعدات الدولية وربطها بالموقف من «صفقة القرن» ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس.

الاحتجاجات عكست عمق الأزمة الاقتصادية المعززة بأزمة سياسية نابعة من ضعف الرقابة وغياب الشفافية

الحكومات المتعاقبة قامت باقتراض أكثر من ٣ مليارات دولار سنوياً حتى بلغت المديونية العامة ٤. مليارا

الخطة الجديدة تضمنت فرض ضريبة على البنوك تبلغ ٤. ٪ مطلقة معركة بين الحكومة والقطاع الخاص

تأثير السياسة الأمريكية والتحولات في الإقليم وخصوصاً المرحلة الانتقالية في السعودية كان لها تأثير بارز في مفاقمة الأزمة الاقتصادية، فتعويل الأردن على فتح العراق لمعبر طريبيل بعد هزيمة تنظيم «داعش» لم يفض إلى نتائج مثمرة بسبب التعقيدات الأمنية الحاصلة على الحدود والمتعلقة بعملية نقل البضائع إلى الشاحنات العراقية، قابلها فتح المملكة العربية السعودية لمعبر عرعر على الحدود العراقية؛ ما ألحق أضراراً كبيرة بتجارة الترانزيت الأردنية، وأضعف القدرة التصديرية للمنتجين؛ إذ نافستهم البضائع القادمة من السعودية.

في الوقت ذاته، عانى الأردن من تداعيات الأزمة السورية؛ سواء بتراجع تجارة الترانزيت، أو بموجات اللجوء الكبيرة التي قدرت بمليون ونصف المليون لاجئ، لم تلتزم الدول المانحة إلا بـ٢٠٪ من وعودها للأردن طوال فترة الأزمة.

وازدادت الأمور تعقيداً إثر التفاؤل المشوب بالحذر الناجم عن إمكانية أن تفضي مناطق خفض التصعيد في سورية إلى هدوء نسبي يسمح بفتح معبر نصيب السوري، لتعود الأزمة وتتفاقم نتيجة الخلاف بين الفصائل السورية والمواقف الإقليمية لعدد من الدول العربية من تطورات الموقف في الجنوب السوري، تأزم بلغ ذروته بشن جيش النظام السوري وحليفه الروسي حملة على الغوطة الشرقية نهاية عام ٢٠١٧ وبداية عام ٢٠١٨م.

الأزمة الخليجية كان لها نصيب كبير في تسريع الأزمة الاقتصادية في الأردن وتفاقمها؛ إذ باغتت الأزمة المزارعين الأردنيين والصناعيين والتجار في ٥ يونيو ٢٠١٧م، ملحقة خسائر بلغت ٢٦ مليون دينار بالمزارعين الأردنيين وشركات النقل في أسبوعها الأول، كما أضرت بحركة العمالة الأردنية والسيولة المتدفقة من المغتربين المتشككين بأوضاعهم القانونية وسهولة حركتهم، وضرب الركود قطاع العقارات في الأردن بتغير توجهات وتفضيلات المغتربين الاستهلاكية والاستثمارية.

لم يتوقف تأثير المتغيرات الإقليمية والدولية عند حدود؛ إذ تأثر الأردن بالتطورات الحاصلة في السعودية بالإعلان عن الخطة التنموية الجديدة التي ركزت على «السعودة»، وفرض ضرائب تراكمية على المغتربين،

الملك دعا الشعب إلى الاعتماد على الذات في ظل الخلافات مع إدارة «ترمب» الساعية لتمرير «صفقة القرن»

فاقم الأزمة الاقتصادية تفاعلها مع أزمات الإقليم وعلى رأسها الأزمة الخليجية والحرب اليمنية والقضية الفلسطينية

ترافقت مع اضطرابات غامضة داخل المملكة العربية السعودية عكست طبيعة المرحلة الانتقالية في البلاد، وتمظهرت بشكل واضح بإيقاف السعودية لأحد كبار رجال الأعمال الأردنيين صبيح المصري؛ وهو من كبار المستثمرين في البنك العربي الأردني.

التطورات الحاصلة في الساحة السعودية تركت آثاراً عميقة على الاقتصاد الأردني، وزادت الشكوك بمستقبل العلاقة مع الرياض في ظل التوتر الناجم عن نقل السفارة الأمريكية إلى القدس و«صفقة القرن» الغامضة؛ والمترافقة مع الإعلان عن مشروع «نيوم» السعودي المحاذي للحدود الأردنية، أمر هدد المركز الإقليمي لمدينة العقبة كميناء دولي مفتوح لتجارة الترانزيت وهدد بأزمة سياسية بين الرياض وعمّان.

لم تتوقف تداعيات التحولات في المملكة العربية السعودية عند حدود القطاعات التجارية والمستويات الاقتصادية والسياسية، بل امتدت إلى الشرائح الاجتماعية الدنيا؛ فتراجعت ثقة العمالة الأردنية في مركزها القانوني والجدوى الاقتصادية للسوق السعودية؛ فبلغ عدد من غادروا السعودية بعد أزمة شركة «بن لادن» أكثر من ٣٠ ألف مهندس أردني، مفاقمة بذلك أزمة البطالة الأردنية، ومجهضة جهود الحكومة في ضبط إيقاع الاقتصاد الأردني والسيطرة على مخرجاته السلبية، عاكسة سوء التخطيط لدى الحكومات المتعاقبة وبطء شديد في ردود فعلها.

الأهم من ذلك كله، تراجع حجم التجارة مع السعودية خصوصاً المزارعين والصناعيين؛ فانخفضت صادرات بعض المصانع إلى المملكة السعودية إلى النصف، واضطرت لتخفيض عدد العاملين فيها، ولم تفض زيارة ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في تهدئة المخاوف الأردنية؛ إذ تم التركيز على المشاريع الكبرى والاستثمارات الضخمة المرتبطة بمشروع «نيوم» الجدلي والإشكالي من ناحية قانونية وسياسية.

تفاعلت المتغيرات الاقتصادية الخارجية مع النهج الاقتصادي المحلي القائم على الريعية والمعتمد على المنح والمساعدات والأسواق الخليجية، مولدة حالة كبيرة من الاحتقان، وانعدام الثقة لدى الشارع الأردني بالنهج الاقتصادي والسياسي الذي بقي في حالة سكون مطبق طوال العامين الماضيين، مكتفياً باللجوء إلى جيوب المواطنين، ليعبر عن نفسه من خلال انفجار الاحتجاجات التي امتدت إلى كافة أنحاء المملكة.

حراك داخلي أفضى إلى حراك إقليمي واسع تجاه الأردن عملت الدولة على استثماره، غير أن التجاذبات الداخلية ونمط الدولة الريعية والأزمات الخارجية تحولت إلى أزمة مزمنة لم يعد بالإمكان علاجها من خلال إصلاحات اقتصادية قاصرة سياسياً في مجال التشريع والرقابة والمحاسبة، أو من خلال منح ومساعدات وقروض مرتبطة بأزمات متفجرة في الإقليم ومشروطة باستحقاقات سياسية واصطفافات إقليمية مكلفة للمملكة الأردنية.

أزمة عميقة تحولت إلى احتجاجات ودعوات لتغيير النهج، مدعومة بإرادة سياسية من رأس الدولة في الأردن وحراك إقليمي يخرجها من حالة السكون والترقب نحو المبادرة لتحقيق تموضع آمن يجنبها الغرق في أزمات الإقليم ومحاوره المتصارعة.■

«كأس العالم».. بطولة كروية أم عملية تجميل سياسية؟

بقلم: أحمد عيسى

نجح النازيون أيام «هتلر» في نشر دعايتهم في «أولمبياد» (النازي) سنة ١٩٣٦م، حيث أعادت الألمان للحظيرة الدولية وجعلتهم يظهرون أكثر آدمية.

ألا يستحق كأس العالم الحالي مقارنة المثل بالمثل، حيث تحاول روسيا أن تنجح بتغيير وتجميل وجهها القبيح الذي تلوث بدماء إخواننا وأخواتنا في سورية بغارات طائراتها الحربية على المدنيين الأبرياء، ومحاولاتها المستميتة لمنع أي قرار في الأمم المتحدة يعاتب نظام «الأسد» الدموي.

سحرت روسيا أعين الناس وأنستهم جرائمها وسط ألوان الملاعب المزخرفة، وصيحات الجماهير المحتشدة، وهناك على حدود ليست ببعيدة شهداء قتلوا، وأطفال يُتموا، ونساء ثُكلوا، وجرحى قطعوا جراء الآلة الحربية الروسية في سورية.

إن كانت الرياضة وكرة القدم بالذات وسيلة للتعارف والمنافسة الشريفة، فليس هناك شرف على الإطلاق في موقف روسيا والعالم من قضايا العرب والمسلمين في فلسطين والعراق واليمن وسورية، بل حينها يكون العرس الرياضي في كأس العالم تزييناً للقبيح، وتغطية للمعاناة والجريمة.

التاريخ يعيد نفسه، فقد نظم الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٠م «أولمبياد موسكو»، وهي تقتل المسلمين في أفغانستان، وتعذب المعارضة الداخلية، وها هي تسمم جواسيس بريطانيا الروس داخل أراضي بريطانيا.

وفرضت روسيا خلال «كأس العالم» عدة قوانين لمنع المظاهرات السياسية المعارضة، ولا بد من أخذ تصريح قبل أي تجمع.

ولكن عودة للتاريخ تذكرنا أنه عند خروج آخر رياضي عام ١٩٨٠م من المطار، بدأت حملة شعواء للاعتقالات السياسية، وهذا ما يتوقع كذلك الآن.

وقبيل إشارة بدء المنافسة في «كأس العالم» أعلن مخرج الأفلام الأوكراني المسجون في سيبيريا الإضراب عن الطعام.

ولكثرة الكلاب في روسيا، لم تتورع السلطات قبيل «كأس العالم» أن تقوم بحملة إبادة جماعية للكلاب هناك! لتظهر الشوارع أكثر أمناً في المدن الاثنتي عشرة التي تقام فيها المباريات («الإندبندنت» ٩ يونيو).

في سانت بيتربرج (المدينة التي شهدت مباراة مصر وروسيا) كذلك قامت بحملة لتطهير المدن من الشحاذين، الذين ليس لهم مأوى وما أكثرهم (ستون ألفاً في هذه المدينة وحدها)، في محاولة لستر العورة القبيحة أمام جماهير الكرة، وفي كثير من الأحيان استخدمت القوة لإخراج المشردين الروس من محطات المترو وترحيلهم بعيداً عن اللوحة المصطنعة بألوان ملابس لاعبي كرة القدم.

أما الدعارة، وهي من أكثر الصناعات الروسية رواجاً، فقد تعرضت لضغوط من الشرطة في محاولة لتحسين صورة روسيا الداعرة، في استعراضها المزيف لـ«كأس العالم».

ولكن استمرت الدعارة خلال «كأس العالم» تحت حماية الشرطة إذا دفعت الداعرات ضريبة أو رشوة لأفراد الشرطة ليستمروا.

يقدر عدد الداعرات في روسيا بأكثر من مليون (أكثر من عدد الأطباء هناك)، ومع تسهيل التأشيرة في وقت «كأس العالم» يتوقع دخول آلاف من النساء للعمل في هذه المهنة البغيضة بالإكراه، يضاف إلى ذلك الكثيرات ممن يبعن أنفسهن نظير خدمة أو بضاعة.

وهناك تقارير من استخدام الداعرات لمخدر يوضع في الخمر ثم يجد الضحية نفسه بلا محفظة نقود، ولا أثاث في المكان، وقد يصوّر خاصة إذا كان إنجليزياً (خاصة بعد التراشق السياسي الأخير منذ أزمة تسميم العملاء)، ويرسل المقطع لأهله في لعب سخيف شيطاني، تقوم به عصابات «المافيا» الروسية الحقيرة.

ليست جرائم الروس ضد المسلمين بأمر جديد، فقد احتلوا القرم وتركستان والقوقاز، وارتكبوا أبشع الجرائم والمجازر هناك، وكانوا يُنصّرون المسلمين عن طريق اختطاف أطفالهم حتى تقلص عدد المسلمين في القرم من خمسة ملايين إلى نصف مليون!

وهجّر السوفييت شعوباً إسلامية بأكملها (القرم، الشيشان، الباشكير) إلى مناطق أخرى، حتى أبيد في عهد «ستالين» أكثر من أحد عشر مليون مسلم، واعتادوا هدم المساجد ومنع الحج واللباس الشرعي.

أما جرائم روسيا في الشيشان فلا تُنسى، فقد تعرض الشعب الشيشاني لأكثر من حملة إبادة مات خلالها نصفه، أما المقاتلون فقد جُمعوا في إسطبلات الخيول وسكب عليهم البترول وأحرقوا أحياءً، هذا غير التعذيب والتطهير العرقي والاختفاء والاغتصاب.

وقد انتقدت منظمات إنسانية كثيرة اختيار روسيا العاصمة الشيشانية مقراً للمنتخب المصري في «كأس العالم»، وقالت منظمة «العفو الدولية»: إن ما حدث عبارة عن «عملية غسيل سمعة بشكل رياضي»؛ حيث استغل الرئيس الشيشاني «رمضان قديروف» اللاعب المصري محمد صلاح والتصوير معه واستقباله في الملعب لتحقيق مكاسب سياسية وتحسين صورته، وهذا الرئيس الشيشاني المنشق عن المجاهدين والموالي لروسيا معروف بسجله القبيح في قمع المعارضين، وإن كنا لا ندري هل يعرف محمد صلاح هذا عن «قديروف» أم لا؟

وهناك غيره من الرؤساء والملوك ينتظرون ركوب موجة الجماهير لتعلن أن سياستها الرشيدة هي سبب دخول الهدف في المنافس!

وهكذا يستمر «كأس العالم» كلعبة سياسية غير أخلاقية، وهذا قد يبرر الدعوة التي ظهرت لمقاطعة شاملة لبطولة «كأس العالم» في روسيا، بعد موقفها من سورية، والصراع السياسي مع بريطانيا بشأن تسميم العميل الروسي السابق في بريطانيا.

في «كأس العالم» الماضي حظيت أحداثه بأعلى نسبة مشاهدة في العالم؛ حيث وصل العدد إلى ٣,٢ مليار مشاهد، وكان سكان العالم حينها (٧,١ مليار) أي ٤٥٪ من سكان العالم! ويتوقع أن يستمر ذلك هذه المرة، ومع رايات الجماهير وإعلانات الرعاة وحمّى المنافسة، هل ينسى المسلم تاريخه وواقعه في سكرة اللحظة؟ هل ينسى حقارة السياسة الروسية مهما حاولت أن تضع مساحيق التجميل الزائف للوجه القبيح.

«كأس العالم» يستحقه الشعب السوري البطل الذي قاوم طغيان «الأسد» وظلم «بوتين»، وهو يواجه فريقين شرسين في وقت واحد، وحكم المباراة الأمم المتحدة لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم!■

أقليات مسلمة

إعداد: هاني صلاح

مسؤول منتدى التنمية بأثينا شادي الأيوبي:

اتبعنا سياسة الانفتاح على المجتمع اليوناني والتعاون مع أي جهة ذات مصداقية

برز مؤخراً «منتدى التنمية» بالعاصمة اليونانية أثينا كمؤسسة واعدة لمستقبل الجالية العربية والمسلمة في اليونان، وقد استطاعت، من خلال أنشطة ومشروعات متعددة ركزت على الجانب التعليمي والتربوي للشباب بشكل خاص، تحقيق نجاحات متتالية لم تحققها مؤسسات أخرى؛ وهو ما جعلها قبلة يلجأ إليها أبناء الجالية العربية للاستفادة والاستزادة، بجانب شريحة شبابية من اليونانيين من غير المسلمين، نظراً لسياستها المنفتحة على المجتمع اليوناني بكافة شرائحه، حول «منتدى التنمية» في أثينا، كان لـ«المجتمع» هذا الحوار مع الناشط في مجال الدعوة الإعلامي شادي الأيوبي، مسؤول المنتدى.

● نود نبذة تعريفية بـ«منتدى التنمية» في اليونان.

– تأسس منتدى التنمية أواخر عام ٢٠١٥م، وأردنا من خلاله البدء بعمل مؤسسي منفتح يختلف عن نموذج المسجد التقليدي الذي يستوعب الرجال وحدهم، أردنا أن نركز على الجيل الثاني والتربية مع الاهتمام قدر المستطاع بالعمل الخيري.

● ما أبرز المساحات التي تنشطون فيها؟

– أبرز المساحات التي نعمل فيها هي التربية والتعليم، ثم المجالان الاجتماعي والخيري، كما لا نغفل مسألة الترفيه بالنسبة للجيل الثاني والشباب، وهي مسألة مهمة جداً.

● نشاطكم.. هل يقتصر على العاصمة أثينا فقط، أم يتعدى مناطق أخرى من اليونان؟

– نشاطاتنا خارج أثينا محدودة، وتقتصر على إرسال بعض المعونات لبعض مخيمات اللاجئين خارج العاصمة اليونانية، ولدينا مشروع طامح بتعليم اللغة العربية عبر الشبكة العنكبوتية لأبناء الجالية العربية في مختلف المناطق اليونانية، وهذا مشروع نؤمل منه الكثير بإذن الله.

● برز مؤخراً «منتدى التنمية» كمؤسسة واعدة لمستقبل الجالية المسلمة باليونان، كيف تفسرون هذا النجاح في هذه الفترة القصيرة منذ تأسيسه؟

– بفضل الله تعالى، أصبح المنتدى مؤسسة معروفة في العاصمة أثينا، رغم قدراتنا المحدودة، فقد اتبعنا سياسة الانفتاح على المجتمع والتعاون مع أي جهة ذات مصداقية،

وإفادة كل من يرغب بالاستفادة.

وقد أصبحت لدى المنتدى عدة مدارس تعليمية ثابتة؛ مثل مدرسة يوم السبت، ومدرسة يوم الأحد، ومدارس أخرى تضم عشرات الأطفال من أبناء الجالية العربية وجاليات أخرى، ومن أبناء اللاجئين المقيمين في أثينا.

وأعتقد أن مسألة التركيز على الهدف -خاصة التعليمي التربوي- لها أهمية كبيرة في إنجاحه؛ فنحن أردنا أن يكون للمنتدى تميز في مجال التعليم، لا سيما اللغة العربية ومبادئ الدين الحنيف، وتقديرنا أننا نستطيع أن نتميز في هذا المجال؛ لأن الجمعيات المدنية العاملة فيه تركز على اللغات الأوروبية والمهارات العامة.

كما أننا نعتمد على عنصري الشباب والنساء، وهما العنصران اللذان يمكن أن يغيرا أحوال الجالية العربية والمسلمة في اليونان.

هدفنا عمل مؤسَّسي منفتح يختلف عن نموذج المسجد التقليدي الذي يستوعب الرجال وحدهم

لدينا مشروع طامح لتعليم اللغة العربية عبر الإنترنت لأبناء الجالية العربية باليونان

● **عانت الأقلية المسلمة باليونان على الدوام من التفرق، فهل تطمحون بجعل منتدى التنمية مؤسسة جامعة يلتقي عليها مسلمو اليونان؟**

- الجالية المسلمة في اليونان عانت من الفرقة والتشتت ولا تزال، ولا شك أن توحيدها هدف عظيم يجب أن يعمل كل إنسان صادق لتحقيقه، ونحن نطمح أن نكون من بين العاملين لأجل هذا الهدف؛ لأننا على يقين أن مؤسسة واحدة لا تستطيع القيام به بمفردها؛ فالجالية كبيرة العدد ومتنوعة عرقياً وثقافياً.

● **شهد رمضان الماضي نشاطاً مكثفاً لكم يتم لأول مرة، فهل من إطلالة على أبرز تلك الأنشطة، مع ضرب مثال لكل منها؟**

- مع دخول رمضان كرّس المنتدى نفسه كمؤسسة اجتماعية خيرية أقامت عدة إفطارات جماعية للاجئين المسلمين في اليونان، كما جرت عدة إفطارات وديّة مع طلبة يونانيين مهتمين باللغة والحضارة العربيتين، ومعظم هؤلاء من العاملين في المجال الإغاثي ويتعاملون بشكل يومي مع لاجئين عرب ومسلمين؛ حيث كانت تجري نقاشات حول مفهوم الصيام والمعاملات في الإسلام.

كذلك قام المنتدى بتوزيع حصص غذائية وملابس وأحذية على اللاجئين، إضافة إلى توزيع زكاة الفطر على المحتاجين.

وقام المنتدى كذلك بمساعدة حالات خاصة، مثل حالات الوفيات والأرامل والأيتام بمبالغ مالية ومساعدات عينية، إضافة إلى زيارات لبعض الأسر المحتاجة وتقديم مساعدات لها.

وقام شباب المنتدى بتنظيم صلاة التراويح في مسجد النور بالمدرسة الليبية خلال شهر رمضان المبارك.

ركزنا على أهدافنا التعليمية والتربوية وكان هذا عاملاً كبيراً في نجاحنا

إضافة إلى ما سبق، قام شباب المنتدى بتنظيم صلاة العيد في ساحة المدرسة الليبية، حيث تم توزيع الدعوات والمنشورات في المناطق التي يسكن فيها أبناء الجالية العربية والمسلمة، لدعوتهم إلى الصلاة، وقد كانت الاستجابة كبيرة بفضل المولى سبحانه وتعالى؛ حيث توافد المئات من أبناء الجالية على صلاة العيد، وتمّ التأكيد في خطبة العيد على أهمية العمل للحفاظ على الجيل الثاني والشباب.

وقد تبرعت سيدات من الجالية وجهات كريمة بتقديم الحلويات والشاي خلال الاحتفال، كما تبرع آخرون

مع دخول رمضان كرّس المنتدى نفسه كمؤسسة اجتماعية أقامت عدة إفطارات للاجئين المسلمين باليونان

بتقديم ألعاب العيد وهدايا مختلفة للأطفال، وقد كانت الفرحة كبيرة جداً بين أبناء الجالية؛ حيث أصبحت صلاة العيد حديث الجالية في أثينا.

وبفضل الله كرس المنتدى مفهوم عطلة العيد في التعامل مع المؤسسات اليونانية الشريكة في برامجنا التعليمية؛ فقد طلبنا من شركائنا في تلك البرامج توقف التعليم لمدة يومين احتراماً للعيد، وتمت الموافقة على الطلب، وهذا أمر قد يبدو بسيطاً، لكنه مهم للغاية؛ لأن البلد لا يعرف غير الأعياد الوطنية والأرثوذكسية.

● تحتضن اليونان كمحطة عبور كثيراً من اللاجئين المسلمين، وكان لكم دور إيجابي متواصل إزاءهم، فهل من إطلالة على هذا الدور؟

– تواصلنا مع الإخوة اللاجئين كان في البداية إغاثياً؛ فقد أسهمنا في العمل الإغاثي قدر المستطاع، وقمنا –ولا نزال نقوم– بتوزيع مواد غذائية وملابس وألعاب أطفال على مجموعات اللاجئين الذين نصل إليهم.

ثم تطور هذا الدور لنفتح أمام الأطفال اللاجئين المجال لتعلم اللغة العربية، وهكذا أصبح لدى المنتدى دروس تعليمية ثابتة يشترك فيها أبناء اللاجئين، ويتعلم الأطفال في تلك الدروس اللغة العربية والقرآن الكريم.

ونسعى إلى تأمين ما نستطيع من مصاحف وكتب مفيدة إلى الإخوة اللاجئين في المخيمات أو غيرها.

● لاحظنا فلسفة منفتحة في إدارة المنتدى وفي تواصلكم مع كافة شرائح المجتمع اليوناني من المسلمين وغيرهم، فهل من شرح لأسلوبكم في العمل المجتمعي؟

– نحن لا نبخل بقاعات المنتدى وصالاته على أي جهة تريد إقامة نشاط مفيد، وهذا الأمر جعل أبناء الجالية الذين يريدون القيام بأنشطة تعليمية أو اجتماعية يلجؤون إلينا.

كما أننا نقيم تعاوناً مع مؤسسة يونانية معروفة، وهذا النشاط يقوم على تدريس اللغات ومبادئ الحاسوب

نعمل على مد الجسور مع المؤسسات التعليمية بالعالم العربي لا سيما في مجال اللغة العربية

الإلكتروني، وهذا البرنامج واعد للغاية، حيث يدرس مئات من الشباب والنساء، خاصة من اللاجئين، وإن كان لا يقتصر على اللاجئين.

ونحن نعمل بفضل الله على مد الجسور مع المؤسسات التعليمية في العالم العربي، لا سيما في مجال اللغة العربية، وسوف نجري قريباً امتحانات للغة العربية للناطقين بغيرها بالتعاون مع جامعة معروفة في الأردن.

● ما كلمتكم الأخيرة عن منتدى اليونان؟

– يمكننا أن نقول: إن المنتدى اليوم أصبح مؤسسة لا تهدأ طوال أيام الأسبوع، وقد استطاع –بفضل الله تعالى– جمع عدد كبير من المستفيدين من كبار وأطفال، ولا بد في الختام من شكر خاص لكل من يسهم معنا تطوعاً في هذا العمل، لا سيما المدرسات المتطوعات والإخوة المتطوعين في كافة الأعمال، كما أننا نعتقد أننا لا نزال في بداية الطريق، ونأمل أن يكبر هذا العمل كماً ونوعاً حتى يكون في مستوى التحديات التي تواجهها جاليتنا في اليونان.■

رأي الأقليات

بين المعلم والتلميذ.. علاقة لا تنفصم ولا تنقسم

بقلم: طه سليمان عامر
رئيس هيئة العلماء والدعاة بألمانيا

كثيراً ما نتحدث عن فضل المُعلم على التلميذ ودوره في صناعة مستقبله وأثره في حياته وتكوينه العلمي والخُلُقي والروحي، لكننا بحاجة للوقوف على طبيعة تلك العلاقة التي أنتجت علماءً كباراً وفقهاءً عظاماً، وقد كانوا بالأمس تلاميذ في حلقات مشايخهم فأصبحوا بعد بضع سنين أو يزيد أساتذة الدنيا وسادة الأمة.

المُعلم حقاً من يرى في تلاميذه مستقبله وصدقته الجارية، وقرة عينه وثمرة فؤاده وبهجة قلبه، غايته أن يراهم أعلاماً ينشرون الخير وينالون الدرجات العلا.

إنه يجهد من أجلهم، ويتعب لإفادتهم ونفعهم، وهو يبحث ويُسَرُ قلبه بالطالب الذكي الجاد الذي يكثر السؤال والنقاش والبحث ويجيد الحوار المعرفي.

إن المعلم الربّاني والمربي الحكيم والفقيه الحصيف من يصنع قادة للرأي وأئمة للفكر ودعاة للحق، غير مقلدين ولا متبعين دون بصر ونقد، إنه يريد أن يراهم وقد سبقوا، ويوم يخالفونه الرأي بعلم وحكمة فهو دليل الرشد وكمال النضج وهو غاية المطلب عنده.

إن المربي الحكيم والفقيه الحصيف من يرفض النسخ المكررة، فهو يوقظ فيهم حرية التفكير وتدبر الأدلة واستقلال الاجتهاد، فإن مسيرة التجديد الفقهي والفكري لن تستمر مع فلسفة التقليد والاتباع بحال.

كيف صنع الأئمة الكبار من تلاميذهم أفذاذاً؟

جولة سريعة في سيرة الأئمة الفقهاء وعلاقتهم بتلاميذهم توقفنا على منهجية صناعة الفقهاء والعلماء ليضع كل مُعلم ومعلمة في عصرنا خطته ويراجع طريقته.

١- الإمام أبو حنيفة:

وقصته عجيبة في انصرافه عن التجارة إلى طلب العلم، عندما نصحه الإمام الشعبي قائلاً: عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة، قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله.

وبتوجيه الشعبي رحمه الله أهدى للعالم فقيه الدنيا أبا حنيفة رحمه الله.

علاقته بتلاميذه:

يقول الإمام محمد أبو زهرة: وكان لتلاميذه مكانة الأحباب في قلبه، حتى إنه كان يقول لهم: أنتم مسارّ قلبي وجلاء حزني.

كانت علاقته بهم علاقة الأب بأولاده؛ يواسي المحتاج منهم بماله، حتى إنه كان يزوج من يبلغ منهم سن الشباب وليس عنده ما يكفيه.

كما كان يتعهدهم بالنصح والإرشاد ورُوي عنه من ذلك الكثير.

أما عن طريقته في التعليم، فكانت تعتمد على الحوار الحر، كان يلقي بالمسألة ويترك التلاميذ يتناقشون ويتصايحون حتى ترتفع أصواتهم، وربما يعارضونه اجتهاده ثم يلقي بقوله ورأيه في نهاية الحوار.

أشهر تلاميذه:

أبو يوسف، قاضي القضاة، ومحمد بن الحسن الشيباني، هما أبرز تلاميذه وأنجبهم، وقد خالفاه في مسائل عديدة، ولم يكن اختلافهما اختلاف حجة وبرهان، بل اختلاف زمان ومكان، ولا ريب أن أسعد الناس بهما هو معلمهما وشيخهما الذي سكب في نفوسهما حب العلم والمعرفة ونمّى فيهما مَلكة الاجتهاد والنظر المستقل.

٢- الإمام مالك والشافعي:

تتلمذ الشافعي على يد الإمام مالك تسع سنوات، وكان من فراسة الإمام مالك ما رواه الشافعي قائلاً: لما سِرْت إلى المدينة ولقيت مالكاً وسمع كلامي نظر إلي ساعة -وكانت له فراسة- ثم قال: ما اسمك؟ قلت: محمد، قال: يا محمد، اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن.

وهذا هو المعلم المربي الذي يَنْفُذ إلى عمق تلميذه فيحسن توصيته وتوجيهه.

ومن دلائل عظمة الإمام مالك أن الإمام الشافعي ألّف كتاباً بعد ذلك سمّاه «خلاف مالك» خالف فيه شيخه في مسائل عديدة.

ولماذا قلت من دلائل عظمة الإمام؟

ذلك لأن التلميذ إذا شبّ عن الطوق وأصبح ذا قدرة ومُكْنة على الاجتهاد؛ فهذا من أدلة قوة المعلم ورسوخه، فالأستاذ حقاً يسعد بمخالفة تلاميذه له حينما ينطلقون من اجتهاد ونظر ودليل.

٣- علاقة الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل:

عجيب أمر تلك العلاقة بينهما، فإنك لا تدري مَن المُعلم والتلميذ، فالإمام أحمد يرفض أن يجلس مُعلماً في فترة إقامة الشافعي ببغداد، وروي عنه أنه كان يدعو في سجوده كل صلاة: «رب اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي».

أمّا عن الخُلق الرفيع والنفس العالية للإمام الشافعي فأرع سمعك الآن، كان الشافعي يكثر من زيارة أحمد فقيل له: يزورك أحمد وتزوره؟ قلت: المكارم لا تفارق منزله، إن زرته فلفضله، وإن زارني فبفضله، فالفضل في الحالين له.

يا الله على النفوس العالية الكبيرة والقلوب الفسيحة! إنه السباق نحو الرضوان الأكبر، وهكذا مضت علاقة كثير من العلماء بتلاميذهم عبر التاريخ، والأمثلة كثيرة، ولعلنا نقف على بعض منها في عصرنا، وفي هذا المقام نذكر شيخنا الإمام محمد الغزالي حينما كان يُسْأل في بعض المسائل فيقول: اسألوا فيها الشيخ القرضاوي، كان فيما مضى تلميذي، وأما الآن فهو أستاذي.

وكان الوفاء من شيخنا العلامة القرضاوي حينما كتب كتاباً في حياة الشيخ الغزالي عنه «الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن»، ولا يزال يُعلمنا الوفاء لشيوخه إذا ذكرهم وهو الإمام الكبير أطال الله في الخير بقاءه.

ما أريد التأكيد عليه أن المُعلم بذكائه وحرصه وقدوته وعلو همته وعُمق رسالته التي يحملها يستطيع أن يكتشف المعادن ويوجهها وينميها ويطورها، ويخرج للأمة والإنسانية كنوزاً مخبوءة، محتسباً كل جهد ووقت ومال عند رب العالمين ذخراً ليوم اللقاء.■

أخبار الأقليات

رئيس قسم الدعوة والتعريف بالإسلام لاتحاد «الرائد»:

التسامح بين الديانات بأوكرانيا تعدى مرحلة الحوار إلى التعاون

في إطار برنامج «مدن متعددة الثقافات» التابع لمجلس أوروبا، عُقدت في ٨ يونيو الماضي طاولة مستديرة حول العلاقات بين الطوائف والأديان في مدينة فينتسا بأوكرانيا، شارك فيها وفد من اتحاد المنظمات الاجتماعية (الرائد)، ومركز الإسراء الإسلامي بالمدينة؛ حيث قاموا بالتعريف بإسهامات المسلمين في المجتمع الأوكراني، كما لفت الوفد الانتباه للعقبات التي ما زالت تواجه مسلمي أوكرانيا حتى اليوم.

حول أبرز ما دار بالندوة، قال في تصريحات لـ«المجتمع»، الداعية المهندس طارق سرحان، رئيس قسم الدعوة والتعريف بالإسلام والثقافة الشرقية التابع لاتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد)، الذي شارك بالحديث في الندوة: تلقيت دعوة من المركز الإسلامي في مدينة فينتسا، التابع لاتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد)، لحضور طاولة مستديرة تم تنظيمها من قبل بلدية المدينة، بالتعاون مع لجنة المدينة المتعددة الثقافات، وهي لجنة تابعة للأمم المتحدة، تعنى بنشر ثقافة التعددية الدينية في مختلف المدن الأوروبية، وتعمل مع ما يزيد على عشر مدن أوكرانية، وكانت مدينة فينتسا إحدى هذه المدن والراعية لهذا النشاط، وحمل اللقاء عنوان «العلاقات بين الديانات.. تركيزاً على مشكلات الأقليات المسلمة».

وحول ما دار الحديث عنه من نجاحات مسلمي أوكرانيا، قال: قدمنا في هذا المؤتمر لمحات عن نجاحات المسلمين بشكل عام، واتحاد الرائد باعتباره المؤسسة الأم الحاضنة لنشاطات المسلمين بشكل خاص، في مجالات العمل الخيري والثقافي، وفي مجال التعاون بين ممثلين من مختلف الديانات ومؤسساتهم وعلى مستويات اجتماعية ورسمية.

وأضاف: وهذا يثبت أن مستوى التسامح بين الديانات في أوكرانيا قد تعدى مرحلة الحوار إلى مرحلة التعاون، وأن فكرة احترام الآخر والقبول بالتعددية غدت فكرة دينية تدعو لها المساجد والكنائس ومختلف المعابد، وأن هذا ما كان ليحدث لولا العمل الدؤوب للمراكز الإسلامية في نشر هذه الثقافة بين المسلمين وانفتاحها للتعاون مع مختلف المؤسسات الدينية والاجتماعية.

أما العقبات التي ما زالت تواجه مسلمي أوكرانيا فلفت إلى أنه بالرغم من هذه الصورة المشرقة، فإنه يبقى لدينا بعض المعكّرات والصعوبات التي نطمح أن نتخطاها، منها: عدم وجود مؤسسات حكومية تمثل الأقليات الدينية على المستوى الرسمي، بحيث يتم ترشيح العاملين فيها من قبل أبناء الجالية الإسلامية بأنفسهم، حتى يعرفوا من يمثلهم ومن يتبعون.

وتابع: بالإضافة إلى ذلك، هناك بعض الصعوبات على المستوى الرسمي تعكر أجواء المودة من قبل المسلمين تجاه وطنهم، مثل إعلان الأعياد الدينية كأيام إجازة رسمية، وقضية السماح للمسلمات باستخراج جوازات السفر والهوية الشخصية بصورهن وهن محجبات، وهي القضية التي أصبحت تثير استياء الكثير من المسلمين، ومن أهم القضايا التسهيلات من قبل الحكومة لبناء المساجد في مختلف القطاعات، كما تقدم هذه التسهيلات للكنائس، وتقديم الدعم المادي للنشاطات الاجتماعية والبرامج الخيرية التي تقدمها المؤسسات الاجتماعية لمختلف الفئات الشعبية.

وحول كيفية تلقي الحضور لورقة الوفد المسلم بالندوة، أوضح أنه قدم الحضور شكرهم للمشاركين في الندوة من قبل الجالية المسلمة، وشهدوا باندهاشهم لمبادئ التسامح والود التي يحملها الدين الإسلامي، ولمستوى هذه الثقافة ووضوح هذه الرؤية التي يحملها مسلمو أوكرانيا ويعملون بإخلاص على نشرها في وسط المسلمين وغير المسلمين؛ ما يجعلهم دعامة أساسية للاستقرار في الدولة ومصدراً مهماً لثقافة السلام والحضارة.

ولفت إلى أن الممثل الأوروبي بالندوة اعتبر مسلمي أوكرانيا نموذجاً مثالياً، وأكد أنه على الكثير من المسلمين في أوروبا أن يحذوا حذوهم لتخطي الكثير من المصاعب التي يتعرضون لها على المستوى الاجتماعي أو الرسمي.■

٥٩٪ من المراكز الإسلامية بالسويد تعرضت لاعتداءات عام ٢٠١٧م

بيّن تقرير حقوقي صدر في ١١ يونيو الماضي، عن جامعة أوبسالا بالسويد، أن ٥٩٪ من المراكز الإسلامية في السويد تعرضت لاعتداءات عنصرية، خلال عام ٢٠١٧م، وذلك بمعدل اعتداء واحد كل أسبوع، وفقاً لما نشره بصفحته على «فيسبوك» د. عثمان الطوالبة، الباحث والمدرس في فقه الأقليات المسلمة بجامعة أوبسالا بالسويد.

وحول الموقف الذي ينبغي لمسلمي السويد اتخاذه إزاء هذه الاعتداءات التي وثقها هذا التقرير، وفي تصريحات لـ«المجتمع»، شدد د. الطوالبة، وهو عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو لجنة إفتاء السويد، على ضرورة الدعوة إلى اجتماع طارئ للجمعيات الإسلامية في السويد، لتدارس طبيعة المرحلة والظروف الآخذة بالتغير بسرعة فائقة، وتشكيل لجان متابعة ورصد وتفاعل مع قضايا المسلمين وهمومهم، وضرورة التواصل مع كافة الجمعيات الإسلامية في مملكة السويد؛ لأجل نشر الوعي وتبصير إدارات المراكز الإسلامية بكيفية التصدي للعنصرية والوقوف بوجهها حسب القانون السويدي.

وأكد أن مسلمي السويد مطالبون بالتحرك الديمقراطي المدني الحضاري، للدفاع عن وجودهم ومكتسباتهم ومؤسساتهم أكثر من أي وقت مضى، مشدداً على عدم إغفال التواصل والتنسيق مع قوى المجتمع المدني الحية المناهضة للعنصرية.

ووجه رسالة إلى مسلمي السويد، حثهم فيها على الاعتصام بحبل الله تعالى، والتوكل عليه أولاً، ثم تجميع صفوفهم وتوحيد قواهم، مذكراً إياهم بأن المرحلة القادمة بحاجة لكثير من التدابير والصبر والحكمة وحسن التفاعل الإيجابي، وخص بالذكر المؤسسات الإسلامية الكبرى، الناشطة في السويد التي تمتلك المال، وتعي جيداً طبيعة التحديات الداخلية والمعوقات التي تواجه المسلمين السويديين.

وكان د. الطوالبة قد أشار بصفحته على «فيسبوك» إلى أن وزير الداخلية السويدي ربط بين هذه الاعتداءات وتنامي قوى اليمين المتطرف في أوروبا، والدعاية العنصرية المعادية للمسلمين، التي ينتهجها حزب «ديمقراطيو السويد» العنصري ذو الجذور النازية، وتعهد بدعم المساجد بأجهزة مراقبة وكاميرات، للحد من هذه الاعتداءات، وزيادة أمن دور عبادة المسلمين، معتبراً أنها خطوة في المسار الصحيح يشكر عليها الوزير، ولكنها ليست كافية في ظل التحريض ضد مسلمي السويد الذي يرافق معظم الحملات الانتخابية الحزبية في البلاد.

واستنكر ضعف ردود فعل مسلمي السويد، على ما يصيب دور عبادتهم من عنصرية وجرائم كراهية، واصفاً إياها بأنها لا ترتقي للمستوى المطلوب، وموضحاً أن جزءاً أساسياً من المشكلة يكمن في عدم قيام المؤسسات الإسلامية السويدية الكبرى بدورها في التوجيه والإرشاد، بل وغيابها الكلي في بعض الحالات، مع امتلاكها للمعلومة والمال، وبالتالي القدرة على إحداث التغيير المطلوب.■

اتفاقية لترميم الآثار الإسلامية في كوسوفا بدعم «تيكا» التركية

وقعت وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا)، والجماعة الإسلامية في كوسوفا (المشيخة الإسلامية)، اتفاقية لترميم أهم الآثار الإسلامية التاريخية في البلاد، وفقاً للصفحة الرسمية للمشيخة الإسلامية في كوسوفا على «فيسبوك».

وتتضمن الاتفاقية التي وقعها مسؤولون من الطرفين بحضور كل من سفير تركيا في كوسوفا، والمفتي العام لكوسوفا الشيخ نعيم ترنافا، ترميم كل من جامع السلطان مراد في العاصمة بريشتينا، وجامع الغازي محمد باشا في مدينة بريزرن بجنوب البلاد على الحدود مع دولة ألبانيا المجاورة.

يشار إلى أن وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا) تقيم مشروعات وأنشطة تعاونية تهدف لتحقيق التنمية في حوالي ١٤٠ دولة مختلفة في ٥ قارات حول العالم.■

المشردون السوريون.. كيف؟ وماذا؟

بقلم: د. عامر البو سلامة

اللاجئون يعيشون أوضاعاً صعبة داخل سورية وخارجها تقتضي الالتفات إليهم والتعاون لتلبية حاجاتهم

العناية باللاجئين واجب شرعي وضرورة إنسانية وحاجة بشرية ولا يجوز إهمالهم تحت أي عذر

الحياة ليست طعاماً وشراباً ونوماً فحسب بل هناك ما هو أهم حيث بناء الإنسان بكل المفردات المطلوبة

كان من نتاج الجريمة الفظيعة، التي يرتكبها نظام القتل والدمار والتخريب والعدوان، ومن ساندوه وحالفه من قوى الشر الذين أصبحوا محتلين لسورية، وكذا من أيده ووقف إلى جانبه من أحلاس الرذيلة، بهذه المأساة المنكرة، بحق أبناء الشعب السوري.. أن شرد ملايين من أبناء هذا الشعب السوري الصابر المحتسب، يسمون أحياناً لاجئين، وبعضهم يسميهم مهاجرين، وآخرون يسمونهم نازحين.

لا أريد هنا أن أدخل في تفاصيل هذه المصطلحات وانطباقها على السوريين؛ لأني أريد أن أرسل رسائل، تهدف إلى توجيه المسار في طريقه الصحيح، خدمة لهذا الصنف من أبناء الشعب السوري، في محنته الكبيرة، ومصابه الجلل، وكارثته التي ليس لها مثيل، ولست في هذه المحاولة أبحث عن هياكل قانونية للتوصيف التصديقي، للوقوع من عدمه، فهذا له أهله والمختصون به.

ولكن المؤكد أن ملايين من البشر تركوا بلدانهم وقراهم ومناطقهم -نتيجة الجريمة التي ترتكب بحق شعب سورية- ورحلوا إلى أماكن أخرى في الداخل السوري، وفي دول الجوار، وغيرها من البلدان، مثل تركيا ولبنان والأردن ومصر والعراق، وغيرها من البلاد، وكذا في أوروبا، في بلدان متفرقة هنا وهناك.

أوضاع المشردين

وهؤلاء اللاجئون يعيشون أوضاعاً صعبة، في داخل سورية، وخارجها، تقتضي الالتفات إليهم، والتعاون من أجل الوصول إلى تلبية حاجاتهم، رغم الشكر الكبير لكل من ناصر وساند وآوى، ويسّر وهوّن ورحّب، وفتح صدره قبل يده وبيته، وفي المقدمة منهم تركيا.

ومما لا بد من ذكره، ولفت الأنظار إليه، أن النازحين داخل سورية يعانون معاناة كبرى، وأوضاعهم تدمي القلب، وتجرح الفؤاد، وتحزن صاحب الضمير.

والعناية بهؤلاء واجب شرعي -كما ذكر ذلك العلماء الأثبات- وضرورة إنسانية، وحاجة بشرية، ولا يجوز إهمالهم تحت أي عنوان، ومهما كانت الذرائع والمعاذير.

ومن مفردات ما يجب أن نقوم به تجاههم ما يأتي:

١- أن نؤويهم وننصرهم ونساندهم، فنكون ممن آووا ونصروا، فإذا قمنا بذلك، فلنا الأجر العظيم من الله رب العالمين، وهذا الأمر له أدواته ووسائله، وهناك مؤسسات وجمعيات تقوم بمثل هذا الأمر، ولكن تحتاج إلى من يدعمها ويساندها، بمشروع الرغيف والبطانية، أو الخيام، أو المباني المؤقتة، أو آبار المياه، أو السلال الغذائية، أو غير ذلك مما يدخل في هذا الباب، وتكون الحاجة أعظم، في فصل الشتاء، حيث البرد القارس، والثلج الذي يغطي أحياناً قامة طفل ارتفاعاً، أما العواصف وأفعالها وآثارها، فحدّث ولا حرج.

٢- أن نهيئ لهم أسباب العيش، في كل ما يلزمهم؛ «ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته»، ومنها على سبيل المثال المأوى والطعام والكسوة.

٣- الدواء للمريض أكثر أهمية من الطعام والشراب، فعلينا أن نهتم بهم طبياً، فنعالج مصابهم، ونقوم على شأن مريضهم، ولا ننس الجرحى، وما يحتاجون، ففي مصابهم، وما جرى لهم، ما يقطع نياط القلوب، وكم منهم من فقد طرفاً من أطرافه، أو ربما أكثر من طرف، كم منهم من أصبح معاقاً بسبب من أسباب الإعاقة، فتكون غاية مُنى أمثال هؤلاء كرسياً يتحرك عليه، أو طرفاً صناعياً يعينه على نائبته التي هو فيها.

٤- والحياة ليست طعاماً وشراباً ونوماً فحسب، بل هناك ما هو أهم من هذا، ألا هو بناء الإنسان، بكل المفردات المطلوبة في هذا الشأن، ومنها العناية بتعليمهم، وإقامة الدورات التي تعمل على تنميتهم بشرياً، وفي المجالات كافة، وهنا ننذب المؤسسات التي تعنى بالتنمية البشرية، أن تقوم بما يلزم لردم هذه الهوة وسد الخلل.

٥- كما أن التربية والدعوة يحتاجها المشردون، حاجة كبيرة، يحتاجون إلى العلماء والدعاة بينهم، وهذا يحتاج إلى مشروع، فالمعاهد الشرعية، والمحاضن العلمية التربوية، ركائز في هذا الميدان، ومن أدوات ذلك كذلك تأسيس مدارس لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه للأجيال، وهذا يحتاج كذلك إلى مشروع، فأين من يشمر عن ساعد الجد، ويلج هذا الباب الخير، الذي يعتبر من أهم القربات إلى الله، وخير ما تنفق الأموال بشأنه «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

٦- ولا يفوتنا أن نذكر بأهمية تعليمهم من خلال إنشاء المدارس التي تقوم بهذا الواجب المهم، أو استيعابهم في المدارس المتاحة في البلد الذي هم فيه إذا كانوا خارج سورية، وفي الداخل السوري للقصة حكاية كبيرة ومهمة، تحتاج من يسندها، حتى

تقف على أقدامها؛ فإن انقطاع أجيال من الناس عن التعليم يعتبر مشكلة كبيرة من المشكلات التي تواجه التجمعات البشرية، وهذا أيضاً له مختصوه، والعاملون له، ويبحثون عمن يمد يد العون للقيام بهذه المهمة النبيلة.

ونحث الجامعات التي تعطيهم المنح الدراسية، كي تمضي قافلة الحياة بلا توقف.

نداء من القلب

يا من يعيشون حياتهم الهنية الرخية الرضية -نسأل الله لكم جميعاً العافية والسلامة- تذكروا إخوانكم تحت القصف الهمجي، والبراميل العمياء المدمرة، تذكروهم عندما تأكلون وتشربون وتنامون، لا تنسوهم وأنتم بين أبنائكم تسعدون، زوروا إخوانكم اللاجئين، فالزيارة لها أهمية بالغة، واسوهم في مصابهم، كفكفوا دمعة مكسور، وامسحوا على رأس يتيم، وواسوهم بهدية، وتبرعوا لمشروع، يخفف عنهم، ويساعدهم حتى يقفوا على أقدامهم، ويكتب الله لهم الفرج والنصر على القوم المجرمين، وإنه لقريب بإذن الله تعالى.

ولا يفوتنا أن نقول لكل من قدم شيئاً لشعب سورية، ولو كسرة خبز، أو شق تمرة، أو شطر كلمة: جزاكم الله خيراً، وبارك الله فيكم، وفي أموالكم، وفي الحديث الصحيح: «ومن لا يشكر الناس، لا يشكر الله»؛ (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢).

وفي الحديث الصحيح: عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

وفي الحديث الصحيح: عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلِمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً سَتَره الله يوم القيامة».

وفي الحديث الصحيح: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من نفّس عن مسلم كربةً من كُرَب الدنيا نَفّسَ الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

- وفي الحديث الصحيح: عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه (يعني السبابة والوسطى)».

- وفي الحديث الصحيح: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَرحَم الله من لا يَرحمُ النّاس».

- وفي الحديث الصحيح: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه»، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه».

واجبات السوريين

١- على كل السوريين أن يقوموا بواجب الشكر، لمن آوى ونصر، هذا الشعب السوري المظلوم؛ «ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله».

٢- وبالمقابل، نوصي أهل البلدان التي لجأ لها السوريون أن يعاملوا إخوانهم معاملة حسنة، فلربما كان رفع البلاء بسبب مناصرتهم، وتقديم العون لهم، وتنزل الرزق من الله بهؤلاء المكلومين المظلومين، فإياكم أن تضيقوا بهم ذرعاً، أو أن تتبرموا من وجودهم بينكم.

> على إخوتنا السوريين أن يكونوا نموذجاً للأخلاق الطيبة والخلال الحميدة
>
> **نوصي إخواننا السوريين أن يحولوا المحنة إلى فرصة فينتقلوا من سؤال الناس إلى ساحات العمل**

٣- نؤكد لإخوتنا السوريين أن يكونوا نموذجاً للأخلاق الطيبة، والخلال الحميدة، فلا يعبثوا ولا يخربوا ولا يفسدوا ولا يعملوا أي إساءة تمس أمن البلد، أو تخل بالمصلحة العامة.

٤- ومن الأشياء التي نركز على المحافظة على أصولها ومعالمها -خصوصاً من لجأ إلى دول الغرب- مسألة الهوية، ديننا، أخلاقنا، قيمنا، نكون على صلة بكتاب الله القرآن الكريم، مع عميق تواصلنا مع سنة نبينا ﷺ بفهم وسطي، وتصور سليم، مع تجنب الغلو والتطرف، والابتعاد عن الأفكار الجانحة الشاذة، والفتاوى الظلامية، ونهتم بأعرافنا الطيبة، وتقاليدنا الحسنة، ولغتنا الجميلة؛ فالمحافظة على اللغة العربية، من شعائر الإسلام، مع الحرص على تعلم لغة البلد الذي نحن فيه، فهي آلة العمل والفهم، ووسيلة الحماية؛ فاستيعاب اللغة ولوج في تفاصيل الحياة، وحماية من الكيد، واندماج في المجتمع بشكل إيجابي.

٥- كما نؤكد لإخواننا السوريين أن يضربوا المثل الحسن، في التعاون بينهم، وحب بعضهم والتآثر، وأن يكونوا سنداً للمحتاج، وعوناً للمصاب، وأن يكونوا قدوة في فعل الخير، رغم كل ما يحيط بكم، وقد رأينا من أمثلة الخير ما يرفع الرأس، والحمد لله.

٦- نوصي إخواننا السوريين أن يحولوا هذه المحنة إلى فرصة، فينتقلوا من مد اليد، وسؤال الناس أعطوه أو منعوه، إلى ساحات العمل والبناء، إلى المصانع والمتاجر والمزارع والأسواق، إلى مساحات الرزق المفتوحة؛ فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، فلا يكونوا عالة على أحد، بل يشمروا عن ساعد الجد، فيجتهدوا، ويصنعوا الحياة باسمة، حيث يحل هذا الصنف من الناس، والشعب السوري يُضرب به المثل في الجد والاجتهاد، والنشاط والحيوية.. حقاً إن الشعب السوري شعب عملي، وهذا ما يثبته الواقع، فقد غطوا ساحات العمل بالعاملين، وفي بعض البلدان صار أصحاب البلد يغارون من نشاطهم وهمتهم وإبداعهم في أعمالهم.

٧- ومن تحويل المحنة إلى فرصة: استثمار دراسة الأبناء والأجيال، وادفعوا بهم إلى محاضن العلم، إلى المدارس والمعاهد والجامعات؛ فالعلم نور، وبه تنير الحياة، وتتفتح دروب الرجاء، وتبنى به الأجيال، ومن خلالهم تتحول الحياة إلى مصباح منير، وبه من حولهم يستنير؛ «ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»، والجهل ظلام، وهو حالة مزرية، تحيط بالأجيال، فتهلكها وتدمرها وتقضي عليها بصورة أو بأخرى.

٨- ولا بد من تذكر أن الصبر هو المدرسة التي تسري عن النفس، وتكون سلوة المؤمن، وزاداً على طريق المحنة، أما التذمر والتسخط والتلفظ بما يسخط الله فهو مصيبة، وكارثة مركبة.■

أوضاع مصر قبل وبعد الحداثة (٣)

الاقتصاد والسياسة وأهل الذمة والمساجد والعبيد

قدَّمنا في المقالَيْن السابقَيْن أن رحلات الحج التي سجلها مستشرقون مرُّوا ببلادنا وحجوا متنكرين قد تركت لنا ثروة تاريخية لأحوال هذه البلاد، ومن ثَمَّ فقد كانت لنا فرصة نرصد فيها أحوال مصر قبل وبعد دخولها في الحداثة عبر المقارنة بين رحلتي «جوزيف بتس» و«ريتشارد بيرتون»، وبينهما ٢٠٠ عام.

وذكرنا في المقال السابق ما بين الرحلتين والرحالتين من فروق في النظرة والمنهج وطبيعة الرحلة، وفي هذا المقال نرى كيف تغير وجه مصر بعد الحداثة، وسنفاجأ بأن الحداثة في مصر إنما قادتها إلى مزيد من الضعف والفقر وضعف الدين وتسلط الأجانب.

محمد إلهامي

الرحالتان اتفقا على الوفرة الاقتصادية وسوء توزيع الثروة في مصر قبل الحداثة وبعدها

القاهرة غصت بالمساجد في زمان المماليك وتنافس سلاطينهم في بنائها وزخرفتها ووقف الأوقاف عليها

لقد تغير الكثير في مصر عبر ٢٠٠ عام، ما بين عهد المماليك تحت السيادة الاسمية للعثمانيين، وعصر الجبار «محمد علي» وأولاده، لقد شهدت مصر نظاماً جديداً يدخل عليها مع «محمد علي» الذي استقل بها من السيادة العثمانية وقلب نظامها السياسي وميزانها الاجتماعي وخططها الاقتصادية، وقد بدا هذا واضحاً في صفحات الرحلتين، ومن بين كثير من هذه الملامح اخترنا ثمانية أوجه من وجوه الحياة في مصر، نرصد من خلالها تطور أحوال المجتمع المصري بين قرنين.

أولاً: الوفرة الاقتصادية:

لم تتغير حال مصر في شأن الوفرة الاقتصادية بين القرنين، فتلك الأرض التي أطلق عليها «خزائن الأرض» و«مخزن المال والرجال» ظلت محتفظة بخيراتها.

يورد «بتس» أن القافلة المصرية الذاهبة إلى الحج كانت أحسن تسليحاً وأحسن نظاماً وأكثر أمناً، وهي التي تحمل كسوة الكعبة، ولهذا يفضلها الحجاج على غيرها من القوافل، والقاهرة وافرة العدد تغص بالناس وتزدحم بهم، حتى إن بعض الناس يفقد حذاءه من الزحام، ويُطلب الحمار في مصر كما تُطلب العربات في بريطانيا لذلك الوقت، وهي تغص بالبضائع والتجار والسفن التي تحمل البضائع، وتُرش الشوارع مرتين يومياً بالنهار للتخفيف من درجة الحرارة، ويتجول بعض الناس بالماء للعطشى مجاناً، لكن بعض الشاربين يعطيهم مبلغاً يسيراً، والأسواق تشهد وفرة غذائية والأسعار رخيصة، وفي مصر تُعدُّ أفران صناعية لتهيئة عملية فقس الكتاكيت دون الحاجة إلى حضانة الدجاجات الأمهات، ومع هذا فالمتسولون كُثر والطبقات الفقيرة يبدو عليها الهزال والنحول.

ويتحدث «بيرتون» عن الخانات التي تغص بالتجار في مصر، ويصف كثرة بضائعها، ويصفها بأنها في موقع وسط بين التخلف والتحضر، ومع هذا فإن دلائل الفقر والعوز والهزال تبدو على الناس والحيوانات التي تبدو عجفاء هزيلة سواء ما كان منها راقياً أو وضيعاً.

فكأن الرحالتين اتفقا على الوفرة الاقتصادية وعلى سوء توزيع الثروة في مصر.

ثانياً: الضعف السياسي:

وبالرغم من الوفرة الاقتصادية، فإن الضعف السياسي كان حال السلطة في مصر خلال القرنين، لكنها وإن كانت ضعيفة في زمن «بتس»، فإنها وصلت إلى حال مزرية في زمن «بيرتون»، ففي زمن «بيتس» كان البنادقة يسلكون بسفنهم إلى مصب النيل في البحر المتوسط عند رشيد ثم يسرقون الماء في سفنهم، ما يترتب عليه اصطباغ البحر بلون الطمي وتحول المصب إلى ماء عذب لمسافة غير قليلة في البحر، «وهم يفعلون ذلك دون التعرض لأي خطر، فليس لدى الأتراك أساطيل للدفاع عن ساحل مصر».

ولئن كان البنادقة يفعلون هذا تسللاً أو حتى إغارة خاطفة، فإن الأمر في زمن «بيرتون» كان أشد سوءاً؛ إذ أصبح هدف السيطرة على مصر يداعب أحلام الأوروبيين، وصار الرحالة البريطاني يفكر ماذا سيكسب الغرب من السيطرة على مصر، بل إن الغرب كان قد بدأ تنفيذ المشروع الأخطر الذي سيغير من جغرافية مصر الذي رفضه كل الحكام على مر العصور، وهو مشروع قناة السويس، وكانت مصر مكبلة باتفاقية عام ١٨٤٠م التي جعلتها سوقاً مفتوحة للتجارة والصناعة الأوروبية، إلى الحد الذي كان حكام مصر أنفسهم -أسرة «محمد علي»- يشرعون قوانين تتحايل على هذه الهيمنة الأوروبية، كقانون نظام الدور في الشحن البحري مثلاً.

ثالثاً: المساجد:

إن مشهد المساجد لا يمكن أن يفوت زائراً للقاهرة، فلقد غصت القاهرة بالمساجد في زمان المماليك، وتنافس سلاطينهم في بنائها وزخرفتها ووقف الأوقاف عليها، ويتوقع «بتس» أن مساجد القاهرة بين خمسة آلاف وستة آلاف مسجد، وفيها ما هو ضخم مشيد متين، ولكل منها من يرعى أحوالها ويقدم الماء للعابرين.

تحول هذا المشهد البهيج بعد قرنين إلى مشهد آخر، فيتحدث «بيرتون» عما حل بالمساجد من إهمال عندما رآها، وذلك بعد سنوات قليلة من نهاية عهد «محمد علي»، وفي مطلع عهد ابنه «سعيد»، لقد بقيت المساجد كثيرة لكنها تعاني من قلة الرعاية، ويذكر أن مسجدي الأزهر والحسين كانا خاليَيْن من الزخارف، ثم يرصد أن النمط الذي بني مسجد «محمد علي» على مثاله يمثل انحطاطاً وسقوطاً لفن عمارة المساجد، وأن المصريين اعتبروا هذا الشكل «يبعث على الانقباض»، وذكر طرفاً من الأحوال البائسة التي خيمت على الأزهر بعد ما كان فيه من مكانة رفيعة.

رابعاً: أوضاع أهل الذمة:

لاحظ «بتس» أن المسلمين يرتدون عمائم بيضاء، بينما عمائم النصارى بيضاء مخططة بأزرق، وكلاهما يرتدون عباءات سوداء، بينما عباءات اليهود سوداء واسعة وغطاء الرأس عندهم ذو شكل شاذ، إلا أنه يعود فيقرر أنه لا يمكن التفرقة بين المسلمين والأقباط في مصر لتجانس الملامح والأزياء ووحدة اللغة.

ولا يختلف الأمر عند «بيرتون»، فهو يشير إلى العمائم الزرقاء التي يرتديها النصارى، كما يشير إلى شعور ديني عام واضح لدى المسلمين تجاه أهل الذمة، ولعل ذلك لما تمتعوا به من نفوذ واسع في زمن «محمد علي» وأبنائه؛ مما حرّك مشاعر غضب وتحفز لم يشهدها «بتس».

وكان نساء أهل الذمة متحجبات في العهدين، فهذا مفهوم قول «بتس» الذي تحدث عن أنه حتى الجواري يُبَعْن في الأسواق متحجبات، وهو صريح قول «بيرتون» الذي ذكر بامتنان أن مسيحياً سورياً في مصر سمح له برؤية وجه زوجته.

خامساً: أحوال العبيد:

يتفق الرحالتان على أن العبيد في مصر أفضل حالاً من العبيد بل وحتى الخدم في أوروبا؛ فيذكر «بتس» أن الجواري يُعرضن للبيع محجبات، ولكن التاجر (وهو مالكهن في هذه الحال) هو من له الحق في التعرف على عيوبهن بتحسس الأسنان أو الوجه واختبار ما إن كن عذراوات أم لا «بطريقة غير متطرفة»، وأن العبيد لا يُجبرون على التحول إلى الإسلام لا في مصر ولا تركيا ولا الجزائر، وأن العبيد في مرحلة الشباب يتعلمون ويُلحقون بالمدارس وقد يتفوقون كأبناء سادتهم إن كانوا أذكياء، وإذا تحولوا إلى الإسلام تسير أمورهم على نحو أفضل، ويذكر أن العبيد الذين بيعوا في مصر يفخرون أنهم كيوسف عليه السلام الذي بيع في مصر أيضاً.

ويقرر «بيرتون» أن العبيد في مصر أحسن حالاً من الخدم في أوروبا، بل «الرقيق في بلاد الشرق عامة يأكل أفضل بكثير من الخدم أو حتى أفراد الطبقات الدنيا ممن هم ليسوا عبيداً (في بريطانيا)، فالشريعة الإسلامية تلزم المسلمين بمعاملة رقيقهم برقة بالغة، والمسلمون -بشكل عام- حريصون على الأخذ بتعاليم نبيهم، فالرقيق يعد فرداً من أفراد الأسرة».

في المقال القادم، إن شاء الله تعالى، نقارن بين أوضاع الأجانب وأوضاع الشرطة وأوضاع الخانات أو الوكالات التجارية والفنادق.■

الرحالتان يتفقان على أن العبيد في مصر أفضل حالاً من العبيد بل وحتى الخدم في أوروبا

أهل الذمة تمتعوا بنفوذ واسع في زمن «محمد علي» وأبنائه وهو ما حرّك مشاعر غضب البعض

محطات إيمانية في طريق التربية (١٧)

أَحَبُّ الأعمال أدومها

إيمان مغازي الشرقاوي

إنها محطة المداومة على الرعاية والريّ، والاستمرار بالتعهد والسقي لثمرة التقوى التي كبرت في قلوبنا وظهرت على سلوكنا في شهر رمضان، وقد آن لها أن تثبت بعده لتقوَى وتشتد، لا أن تذبل بالفتور، أو تضعف بالتسويف، أو تُوأد بالكسل، أو تذهب مع طول الأمل، فالسعيد منا من دخل هذه المحطة وتزود فيها بالوقود اللازم لسلامة قلبه وتزكية نفسه على الدوام.

السعيد من دخل محطة رمضان وتزود فيها بالوقود اللازم لسلامة قلبه وتزكية نفسه على الدوام

المصانع التي تتعطل آلاتها عن الإنتاج حيناً وتعمل حيناً مصانع غير ناجحة حيث لا تفي بالإنتاج المطلوب

إنها أنفاس وساعات ولحظات، تجري بنا ونجري معها، فها قد أتى شهر رمضان، ولبث فينا أياماً معدودات، ثم ما لبث أن انتهى وفات حاملاً معه حقائب أعمالنا طيلة أيامه ولياليه، ليأتي بعده شوال الذي سينتهي أيضاً ويفوت؛ فهو ليس بأكرم من أخيه الراحل رمضان! وهكذا هي رحلة الحياة، أيام تأتي وتمكث فينا ثم تشد رحال ساعاتها وتمضي وتزول بعد أن سُطرت أعمالنا فيها، وأحصيت لنا أو علينا، فقد كان وما زال عن يمين كل منا ملَك ملازم لنا لكتابة الحسنات، وعن الشمال كذلك ملَك آخر ملازم لنا لكتابة السيئات؛ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق)؛ فيا للحسرة على مَن غفل عن ذلك ونسيه أو تناساه بعد رحيل رمضان!

إن المصانع التي تتعطل آلاتها عن الإنتاج حيناً وتعمل حيناً لهي مصانع غير ناجحة، حيث لا تفي بإنتاج المطلوب منها؛ كسلاً وخمولاً، وإن التجارة التي يهملها صاحبها ولا ينميها لهي تجارة كاسدة تحتاج لمن ينعشها ويربحها، وإن المريض الذي أمره طبيبه بالمداومة على أخذ الدواء فلم يأخذه فلا يلومن إلا نفسه إذا اشتد عليه مرضه وساء، وإن الورود والأزهار التي يفوح عطرها ويسر الناظرين شكلها لتذبل وتموت إذا منع منها الماء!

وهكذا قلوبنا وهي أوعية الإيمان تحتاج لمن يداوم على إصلاحها ويعمل على زيادة الإيمان فيها على الدوام، وإلا قست وماتت والعياذ بالله.

«كان عمله ديمة»:

لقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يثبت على العبادة والعمل الصالح حتى يأتيه الموت الذي يوقن به، فقال له: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ (الحجر)، لأنه إذا أتى فلن يقدر على عمل ولن تكون عبادة، قال الشيخ السعدي: «استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات»، واستدل ابن كثير بهذه الآية الكريمة على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً

فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب».

وقد سئلت عائشةَ رضي الله عنها عن عمل النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان عملُه دِيمَة» (رواه البخاري)، قال ابن حجر: والديمة في الأصل المطر المستمر مع سكون بلا رعد ولا برق ثم استعمل في غيره، والحكمة في ذلك أن المُديم للعمل يلازم الخدمة فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت ليجازى بالبر لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم الخدمة مثلاً ثم انقطع، وأيضاً فالعامل إذا ترك العمل صار كالمُعرض بعد الوصل فيتعرض للذم والجفاء.. والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات. (فتح الباري شرح صحيح البخاري).

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم -وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- يداوم على العمل، فالأحرى بنا أن نتخذه القدوة والمثل في ذلك، وقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أثْبَتَه أي داوم عليه».

أحب الأعمال إلى الله أدومها:

إنه لمن المؤسف حقاً أن يعلق البعض منا عباداته من صيام وقيام وصدقة ومعروف، ومن نوافل العبادات وفروضها، فيربطها بشهر رمضان فقط! تراه يشمر لها ويعمل بهمة ونشاط، ثم لا يلبث بعد انقضاء الشهر أن تقف به قافلة العمل وتنقطع حبالها! ويحاصره طابور الكسل، ويلقي بنفسه في دائرة الأمل التي تحبسه داخلها، وكأن العبادات فرائضها ونوافلها لم تشرع إلا في أيام معدودات، وهذا فهم خاطئ يحتاج للتصحيح، فإن العمل إذا انقطع توقف أجره وثوابه، فعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال: «خُذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمَلُّ حتّى تمَلُّوا» (أي: فإن الله لا يَمَلُّ من ثوابك حتى تَمَلّ من العمل)، وكان أحَبُّ الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أدومها وإن قلّ، كان إذا صلّى صلاة داوم عليها. (صحيح ابن حبان).

وقد روى الإمام البخاري يرحمه الله، في كتابه «الجامع الصحيح»، بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: سُئل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «أدْوَمُها وإنْ قَلّ»، وقال: «اكْلُفُوا من الأعمال ما تُطيقُون».

يقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: «إن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع، وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع؛ لأنه بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص، والإقبال على الله سبحانه ويستمر القليل الدائم؛ بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة».

ولهذا، قال بعض الحكماء: إذا غفلت النفس بتركِ العبادة، فلا تأمن أن تعود إلى عاداتها السيئة، وقال ابن حزم: إهمال ساعة يفسد رياضة سنة، وقال الحسن البصري: يا قوم المداومة المداومة، فإن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، وقال أيضاً: إذا نظر إليك الشيطان فرآك مُداوماً في طاعة الله، فَبَغَاكَ وَبَغَاكَ (أي: طلبك مرة بعد مرة)، فرآك مُداوماً مَلّكَ وَرَفَضَكَ، وإذا كنتَ مَرّة هكذا ومرّة هكذا طمع فيك. (الزهد والرقائق لابن المبارك).

أعمال لا تنقطع في حياة المسلم:

إن شهر رمضان كان أرضاً خصبة وصالحة لنمو أعمالنا الصالحات وتكاثرها وزيادتها وبركتها، وإن العبادات المتنوعة والمستمرة في أيامه ولياليه كانت السبيل إلى ثمرة التقوى التي هي حجر الأساس في بناء الإيمان في قلب كل منا.

وقد كان أخذ النفس وإلزامها بالعبادات في رمضان طريقاً للاعتياد عليها والمداومة على القيام بأصل هذه العبادات حتى لا تنقطع، ومن ذلك حث النبي صلى الله عليه وسلم على المداومة على الصوم في غير رمضان، حيث قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر» (رواه مسلم).

وأوصى أبا هريرة رضي الله عنه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وكان هو صلى الله عليه وسلم يصوم الإثنين والخميس من كل أسبوع، ورغب في صيام تسع ذي الحجة، كما حث على قيام الليل فقال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» (رواه مسلم).

ودعانا أن نستمر على ذكر الله، فقد جاء أعرابيّان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحَدُهما: يا رسولَ الله، أخبِرْني بأمرٍ أتشبّثُ به، قال: «لا يَزالُ لسانُكَ رَطْباً من ذِكرِ اللهِ» (صحيح ابن حبان).

وبيّن الصورة والمنزلة الطيبة لمن حسن خلقه كل وقت، وليس في رمضان فحسب، فقال: «أقربُكم مني مجلساً يومَ القيامة أحسنُكم خُلُقاً» (صحيح الجامع).

فالمداومة على العمل الصالح تأتي بالخير الكثير وتنمي العمل وتزيده وتبارك فيه، ولك أن تتصور الحال كمثال لو أن كل مسلم تصدق بصدقة صغيرة وداوم عليها فستجد لذلك عجباً! إذاً لتجمعت الصدقات وأنشئت بها مشاريع كثيرة تغني الفقراء وتشغل العاطلين وتسد حاجتهم، وهكذا الحال في كل الأعمال.

إن كل عمل نعمله في حياتنا يستغرق جزءاً من عمرنا، فأعمالنا أعمارنا، وإذا أراد المسلم أن يطول عمره فعليه أن يديم عمله، وينظر بِمَ يملأ كِيس عمره، ويكثر من ذكر ربه، ويطلب غفران ذنبه، وإذا ما أصابه الفتور في ذلك فليراجع نفسه ويحاسبها ويدعو ربه راجياً منه القوة والثبات، وليكن له صديق صدوق صالح إن رأى منه خيراً أعانه، وإن رأى فتوراً وكسلاً ذكّره ونصحه وتعاون معه على البر والتقوى.■

أخْذ النفس وإلزامها بالعبادات في رمضان طريق للمداومة عليها حتى لا تنقطع

لو أن كل مسلم تصدق بصدقة صغيرة وداوم عليها لتجمعت وأنشئت بها مشاريع تغني الفقراء

فرض الدولة ضرائب على الشعب

رؤية فقهية

د. مسعود صبري
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

يثار ما بين الحين والآخر فرض الدولة ضرائبها على مواطنيها، وتتضارب الآراء والمواقف حول مشروعية أن تفرض الدولة ضرائب على المواطنين لعجز الميزانية، في الوقت الذي يشكو فيه المواطنون عدم قدرتهم على دفع تلك الضرائب التي تثقل كاهلهم، خاصة أن بعضاً من هذه الضرائب تكون وفق اتفاقات دولية وليست قرارات محلية يقصد منها صالح البلد.

والضرائب كما هو معلوم نسبة من المال تفرضها الدولة على شرائح من المواطنين بطريقة إلزامية، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية، ولا يشترط أن تعود بالنفع على دافعي الضرائب.

وهذه الضرائب تمثل نوعاً من العلاقة بين الدولة والمواطنين من باب الحقوق والواجبات، ومدى حق الدولة في التعدي على المال الخاص للمصلحة العامة، وما الذي يضبط حقوق الأفراد في أموالهم مع واجب الأفراد تجاه المصالح العامة التي تعود عليهم أيضاً، أو على غيرهم من عموم أفراد الدولة.

والذي يحكم هذه القضية عدة أمور، أهمها أن الأصل في الملكية الخاصة للأفراد أن لهم الحرية بالتصرف في مالهم وممتلكاتهم، ولا يجوز الاعتداء عليها، ولا أن يفرض عليهم شيء إلا ما فرضه الله تعالى عليهم من الزكاة الواجبة، ولا يستثنى من ذلك إلا حالات الضرورة، وهي حالات استثنائية لها ضوابط كثيرة، ولهذا جاء التحذير النبوي من فرض ضريبة مالية بغير حق ولا حاجة، وذلك فيما أخرجه أحمد وغيره فيما روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة صاحب مكس».

قال الإمام البغوي، من فقهاء الشافعية: يريد بصاحب المكس الذي يأخذ من التجار إذا مروا عليه مكساً باسم العشر؛ أي الزكاة، وقال الحافظ المنذري: أما الآن فإنهم يأخذون مكساً باسم العشر، ومكساً آخر ليس له اسم، بل شيء يأخذونه حراماً وسحتاً، ويأكلونه في بطونهم ناراً، حجتهم فيه داحضة عند ربهم، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد.

بل نص الخليفة التابعي على حرمة أخذ تلك الضرائب بغير حق، فكتب -يرحمه الله- إلى عدي بن أرطأة: «ضع الفدية، وضع عن الناس المائدة، وضع عن الناس المكس، وليس بالمكس، ولكنه البخس الذي قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا

> الضرائب هي نسبة من المال تفرضها الدولة على شرائح من المواطنين بطريقة إلزامية

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (هود)، فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه، ومن لم يأتك بها فالله حسيبه»، بل كتب إلى عبدالله بن عوف القاري: «اركب إلى البيت الذي برفح، الذي يقال له: بيت المكس، فاهدمه، ثم احمله إلى البور فانسفه فيه نسفاً».

الحكم الفقهي للضرائب

اختلف الفقهاء في حكم فرض الضرائب على قولين:

الرأي الأول: جواز فرض الضرائب بشروط:

وهو مذهب عدد من الصحابة، كعلي، وابن عمر، وعائشة، والحسن، ومن التابعين: الشعبي ومجاهد وطاووس.

واستدل هذا الفريق بعموم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على النفقة في أعمال الخير والبر وإطعام المساكين وكسي العاري وغير ذلك، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ

وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾) (الإسراء)، وقوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) (النساء: ٣٦).

ومن السُّنة ما ورد في جامع الترمذي من حديث النبي ﷺ: «إن في المال حقاً سوى الزكاة»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «في المال حق سوى الزكاة»، وورد هذا القول عن الشعبي، ومجاهد، وطاوس، وغيرهم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة، ويعذبهم عليه».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «إن كنت تسأل في دم موجع، أو غرم مفظع أو فقر مدقع فقد وجب حقك».

الرأي الثاني: عدم جواز فرض الضرائب الاستثنائية مطلقاً:

ومن أشهر من قال بعدم فرض الضرائب الزائدة عن الزكاة الفقيه الضحاك بن مزاحم رحمه الله، واستدل هو ومن وافقه بما رواه ابن ماجة في سننه عن الشعبي عن فاطمة بن قيس، أن النبي ﷺ قال: «ليس في المال حق سوى الزكاة»، وأن كل ما ورد من حقوق أخرى، إنما هي من باب الاستحباب وليس من باب الوجوب، كما استدلوا بحديث: «لا يدخل الجنة صاحب مكس»، وغيرها من الأحاديث التي تنهى عن المكس.

وقال الإمام أبو يوسف القاضي يرحمه الله: «ليس للإمام أن يُخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف»، وقال العلامة ابن خلدون عن الضرائب التي فرضت في الدولة: ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب -كما هو المشهور- بل هو أعم من ذلك، وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله، أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقاً لم يفرضه المشرع فقد ظلمه.

فلما كان الظلم مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران كانت حكمة الحظر (المنع) فيه موجودة، فكان تحريمه مهماً، وأدلته من القرآن الكريم والسُّنة النبوية كثيرة، أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر.

وعلى هذا، فيجب التفريق في فرض الضرائب بين حالتين:

الحالة الأولى: عدم الحاجة إلى فرض الضرائب، وهذه يكون فيها فرض الضرائب محرمة، والإثم على من فرضها، وتشهد لها النصوص السابقة.

الحالة الثانية: أن تكون هناك ضرورة لتلك الضرائب، فيجوز فرض الضرائب عند توافر الشروط، وتحرم عند تخلفها.

وهذا رجحه كثير من الفقهاء، من ذلك:

قول ابن حزم؛ حيث قال: «وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين ما يقوم بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة».

وقال الإمام الشاطبي في كتابه «الاعتصام»: «إذا قررنا إماماً مطاعاً مفتقراً إلى تكثير الجنود لسد حاجات الثغور وحماية الملك المتسع الأقطار، وخلا بيت المال، وارتفعت حاجات الجند إلى ما لا يكفيهم، فللإمام -إذا كان عدلاً- أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافياً لهم في الحال إلى أن يظهر مال بيت مال المسلمين، ثم إليه ينظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك، كيلا يؤدي تخصيص الناس به إلى إيحاش القلوب، وذلك يقع قليلاً من كثير -بحيث لا يجحف بأحد- ويحصل المقصود، وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم، بخلاف زماننا».

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «والأصل أن إعانة الناس بعضهم لبعض على الطعام واللباس والسكنى أمر واجب، وللإمام أن يلزم بذلك، ويجبر عليه، ولا يكون ذلك ظلماً».

شروط فرض الدولة ضرائب:

وقد وضع الفقهاء شروطاً لجواز ذلك، هي:

١- ألا يكون للدولة مال في الخزينة العامة يفي بالمصالح العامة.

٢- أن تؤخذ الضريبة من الأغنياء لا من الفقراء، الأغنى فالأغنى، ويجوز تخصيصها على فئات دون فئات حسب الطاقة والقدرة، وحسب استغلال تلك الفئات للمصالح العامة أيضاً، ولذا عرفها الإمام الجويني بأنها: «ما يأخذه الإمام من مياسير البلاد والمثرين (الأغنياء) من طبقات العباد بما يراه سداداً للحاجة»، وقريب منه ما قاله تلميذه الغزالي: «إنها ما يوظفه الإمام على الأغنياء بما يراه كافياً عند خلو بيت المال من المال، أن تكون هناك حاجة ضرورية لفرض تلك الضريبة».

٣- أن تنفق في المصالح العامة، فيحرم أخذ الضرائب وصرفها على المصالح الخاصة، أو على بعض الفئات الخاصة التي لا يعود دفعها لهم بالنفع على عموم المسلمين.

٤- ألا يكون هناك تبذير وإسراف في النفقة، فلا بد من وضع ميزانية حقيقية للمصالح العامة التي يحتاجها المسلمون.

٥- أن يكون فرض الضرائب مؤقتاً لا دائماً، ويكون حسب حاجة الدولة لسد حاجات المصالح العامة.

وعليه، فلا يمكن الحكم على كل ضرائب أنها محرمة، ولا يحكم على كل ضرائب أنها مباحة، بل لا بد من التحقيق في كل مسألة حسب الأحوال والشرائط التي أوضحها الفقهاء.■

الأصل في الملكية الخاصة للأفراد أن لهم الحرية بالتصرف في مالهم وممتلكاتهم ولا يجوز الاعتداء عليها

الفقهاء اختلفوا في حكم فرض الضرائب بين مجيز لها بشروط ومحرم لها مطلقاً

عمر بن عبدالعزيز نص على حرمة الضرائب بغير وجه حق وأمر بقبول الصدقة

المخلص المزعوم

من خصائص زوجي أنه لا يكتفي دائماً حيث يرغب في التجديد والتعدد في كل مجالات حياته

رغم أنه في منتصف الستينيات فإنه في قمة النشاط والعاطفة وعلاقته بي أكثر من مثالية

أ.د. يحيى عثمان

يمكنك إرسال استشارتك على أحد العنوانين البريدين التاليين:
info@mugtama.com
y٣thman١@hotmail.com

أستاذي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لعل قصتي، بل مأساتي، متكررة رغم ما يبدو على شكلها الخارجي من ندرة أو فاجعة تجعل الزوجة بعد ٤٠ سنة من الزواج والشعور بأنها الملكة المتوجة على عرش حياة زوجها الذي كثيراً ما يعبر عن إخلاصه ويبدي من اهتمام وتقدير متميز، وفجأة يعترف فيها الزوج بواقعه المُدمي لقلب زوجته، وتكتشف الزوجة الخديعة الكبرى التي كانت تحياها وأنها زوجة لأكبر مخادع ممثل قدير.

تزوجته وأنا طالبة بالجامعة، مهندس، رغم أنه لم يتعدّ الثلاثين من عمره فإن لديه شركة، وسيم جذاب، متحدث لبق، مثقف كريم ذو مشاعر فياضة، وعبر رحلة زواجنا الذي كان يراه كل المحيطين بنا نموذجاً مثالياً، رزقنا الله بولدين وابنة، كان نعم الأب؛ الأولوية المطلقة لأولاده، استكملوا دراستهم الجامعية بالخارج وساعدهم على بدء حياتهم العملية وتزوجوا، وكان حريصاً على استكمال كينونته العائلية كما يحب أن يطلق عليها على خير ما تكون، وقد رزقنا بسبعة أحفاد، ونقضي عطلة الأسبوع معاً في قمة السعادة.

من خصائص زوجي أنه لا يكتفي دائماً، يرغب في التجديد والتعدد، فرغم أنه مهندس ناجح فإنه حصل على بكالوريوس محاسبة، وأصبح يراجع الميزانية التي يقدمها له المحاسب القانوني ويناقشه ويعدل عليه، أيضاً حصل على ليسانس في الحقوق، ويناقش محامي الشركة ويعدل عليه، كما أنه يشارك في المؤتمرات الإدارية بأبحاث، ويشار إليه بالبنان في هذا المجال، وحتى لا أطيل هو يتقن ست مهن بكفاءة عالية.

كما أن أصدقاءه أيضاً مجموعات متنوعة الاتجاهات والأفكار، حتى في تناول طعامه كنت أتعجب في أول زواجنا لتعدد الأصناف التي يحرص على وجودها، وقد لا يتناول بعضها.

علاقته بي أكثر من مثالية، فهو رياضي مارس عبر حياته العديد من الألعاب والهوايات، يعتني بصحته، رغم أنه في منتصف الستينيات فإنه في قمة الحيوية والنشاط، عاطفي، وهذا دفعني للعناية بذاتي، فلا أحد يصدق أنني جدة، يرعاني كزوجة ويشعرني بأنوثتي، ذو مشاعر فياضة كريم معنوياً ومادياً، يحتشي بل عادة ما يصحبني سواء للارتقاء بعبادتنا أو ثقافتنا أو علاقتنا الاجتماعية.

عندما كنت أسافر للاطمئنان على الأولاد أثناء دراستهم بالخارج كانت حالته تسوء جداً ببعدي عنه، لكن رغم أنه رجل ملتزم فإنني كنت أعتب عليه تبسطه في علاقاته مع الجنس الآخر، ولكني كنت واثقة في دينه وخلقه ثقة مطلقة -للأسف- لدرجة أنه كانت تأتيه مكالمات نسائية ولا تمثل لي أي غضاضة.

كان يلمح برغبته بالزواج من وقت لآخر،

وكنت أعتبر ذلك من سبيل التهريج، خاصة أننا في قمة السعادة سواء ما يبديه من مشاعر عاطفية أو إبداعاته في علاقتنا الخاصة، وكنت أبتهج وأشعر بالزهو عندما كان يؤكد لي أنه كان رجلاً بكراً عندما تزوجني! وأنه أخلص وأوفى زوج!

طبعاً أنا تحملت الكثير معه سواء في تجاوزه معي أو تجاوز أهله أو تحميلي لأعباء فوق طاقتي.

وكان حبي له يجعلني أغفر وأتسامح، بل وأنسى ذلك، وكنت أبرر ذلك بضغط العمل وطموحاته التي لا تنتهي، حقيقة أشهد له أنه كان يقدر جهودي معه عبر رحلة كفاحنا معاً، وكثيراً ما يشيد بي سواء في جلساتنا الخاصة أو العائلية أو مع أصدقائنا، وكم كان يبهرني وهو يعطي محاضرات في كيفية تحقيق النجاح في الحياة الزوجية، ويرجع الفضل لله أنه وفّق لزوجة تتحمل عنه الكثير من المسؤوليات العائلية.

وفجأة ونحن في قمة السعادة بعد لقاء حميمي قال: «سأتزوج».

تجاهلت.

كررها بلغة حازمة.

– أتعي ما تقول؟

– سأتزوج.

– لماذا؟ هل ينقصك شيء؟ هل قصرت في حق من حقوقك أم لم أعد أشبعك؟

– لا.. إطلاقاً.. أنت أفضل زوجة وأصل معك إلى قمة المتعة.

– ألم تعد تحبني؟

– كل يوم يزداد حبي لك، وأقسم لك لو خُيرت أنت أو كل النساء لاخترتك أنت، ولكنني..

– ولكن لماذا؟

– لأنني أريد الزواج فقط.

– هل فكرت بأثر ذلك عليّ وعلى أولادنا؟ وأن الذي ستأتي وتأخذك على الجاهز ستدمر حياتنا، ومن المؤكد أنها ستتسيك بيتك و..

– حبيبتي، أرجو أن تفهمي جيداً، لن تستطيع إنسانة أن تنسيني بيتي وتحل محلك، أنت زوجتي وحبيبتي وأم أولادي، ولكن طبيعتي أنني متعدد في كل شيء، وهي حالة أعتبرها مرضية، وحتى أثبت لك أنه لن تؤثر على التزاماتي تجاه بيتي أي امرأة، أنا نفسياً متعود على ذلك!

كان يلمح برغبته بالزواج من وقت لآخر وكنت أعتبر ذلك على سبيل التهريج خاصة ونحن بقمة سعادتنا

صارحني بقوله: تزوجت قبلك وبعدك ٥ زيجات بعقود عرفية وكنت على علاقة بأخريات بنية الزواج

– نعم! أتعي ما تقول؟ متعود على ماذا؟

– بكل صراحة أحب أن أطمئنك بأنني لو كنت ممن يتأثرون أو يخضعون لزوجاتهم كنت تأثرت، هل شعرت طوال حياتنا بأي تغيير؟ هل قصرت في أي حق لك أو لأولادنا أو حتى أحفادنا؟

– لا أفهم ما تقول، ماذا بعد؟ تفضل.. أيها المخلص الوفي!

– أنا تزوجت قبلك وتزوجت بعدك ٥ زيجات بعقود عرفية، وكنت على علاقة بالعديد من النساء بنية الزواج ولكن لم يتم، هل حدث أي نقص معنوي أو مادي في علاقتي بك كزوجة أو علاقتي بأولادنا وأحفادنا؟

– وهنا جننت وأحسست بأنني كنت أقف على قمة عالية هوت بي إلى كهف مظلم ليس له قرار، وددت أنني في كابوس كئيب، وسرعان ما ينقذني منه حبيبي ويوقظني، وهنا استرجعت ذكرياتنا وكم كانت تنتابني هواجس شك، ولكن ثقتي به التي لا حدود لها كانت تتغلب عليها، وكان حبي له ينسيني بل ويغلف كل زلاته.

بدأت أتلمس وجهي وأغمض عيني وأفتحها وأضغط بيدي على جسدي لعلي أستيقظ وأتلمس وجه زوجي، وقلت: لعل به مساً من الشيطان، فبادرته: حبيبي، دعنا نغتسل ونصلي وأرقيك.

وفعلاً غسلت نفسي مع الغسل وتعمدت أن أخرج بوجه طلق، معتبرة ما كان كأن لم يكن، وبادرني زوجي كعادته بعبارات الإعجاب والشوق، ورقيته وهو جالس في حضني كالطفل الوديع، وهممت بالقيام لأعد له شرابه المفضل، ولكنه صعقني:

– لم نتفق على كيفية تدبير زواجي؟

– وانهرت وخارت قواي وكدت أسقط على الأرض لولا أن ارتميت على الأريكة، وقررت الهجوم: كيف تغرر ببنات الناس وعندك بنت و٤ حفيدات، ألا تخاف عليهن؟

– حبيبتي، أنا لم أخدع أياً منهن، هي كانت علاقة شرعية، وكنت واضحاً مع كل منهن، ودون أن أظلم أياً منهن، حافظت عليك وعلى عائلتي وكنت نعم الزوج المخلص.

– أي إخلاص تتحدث عنه؟

– نعم، رغم كل هذه الزيجات ظللت وفياً لك ولبيتي، كن يعلمن أن بيتي له الأولوية وتنازلن عن حقوقهن في المساواة.

– إذن، لماذا تخبرني الآن؟ لماذا لم تتزوج هذه مثل ما تزوجت الباقيات دون علمي وظللت تمثل ولم تصدمني؟

– طبعاً، فكرتُ كثيراً قبل إخبارك، لأنني أريد أن أتزوجها بعقد شرعي، بعد ما مللت الحياة المزدوجة، وقد يتسرب الأمر إلى الأولاد فأريدك معي، فهذا يسهل عليهم قبول زواجي، ولا يشعرون أنني غدرت بك، وأنت بالنسبة لهم قيمة عظيمة، وأنا ساهمت في ذلك، وأحب أن أطمئنك، سأتنازل لك عن كل ثروتي وأعفيك من أي التزامات تجاهي، وأعدك أن أكون نعم الزوج لك بل ولك الأولوية عنها شرط أن توافقي.

– ولماذا كل هذا؟

– لأنه إذا ما وصل الخبر للأولاد فأنت على علم بزواجي وموافقة عليه حتى تحافظي على صورتي بين الأولاد.

– آسفة.

وتركته مهرولة إلى حجرة أخرى وارتميت على الأريكة وانتابتني حالة من الشرود، استعرضت حياتي معه وكلماته وتصرفاته كلها كانت تؤكد لي أنه كان يحبني، وأنه كان يعيش معي أسعد لحظاته، كلماته العذبة صداها في أذني، لمساته الحانية سمو خلقه كرمه.. كل هذا كذب خداع، أهذا أخلص زوج

كما يدعـي ويبرر إخلاصه المزعوم أنه رغم كل ما عرف من النساء ظل وفياً لي محافظاً علـيّ! أي نوع من الرجال هو؟ بل أي نوع من النسـاء أنا وكيف كنت من السذاجة حتى لم أكتشف كذبه؟ وحاولت أن أجد له أي تقصير تجاهـي يجعلنـي أربـط تقصيـره بخيانته، لـم أجـد حقيقة فـازددت هلعاً مـن خداعه وقدرتـه التمثيلية، وأفقت علـى يده الحنونة علـيّ! فانفجرت باكية: أحقاً أنت أنت؟ لماذا أخبرتنـي بحقيقتـك؟ لماذا لـم تتركني على بلاهتي؟ لماذا أيقظتني من حلمي الجميل؟

– هـذا لم يكن حلمـاً، بـل حقيقة، وهو حبي وتقديري و..

– ليكن ما كان ولننسه كلية ونبدأ صفحة جديدة.

– حبيبتـي، هـذه حياتنـا وذكرياتنا التي عشنا معاً وأعتز بما فيها.

– أي أنك غير نادم؟!

– على ماذا؟

– خداعـي أيهـا الممثـل البارع، أشـهد لك أن كل نجاحاتـك كمهندس ورجل أعمال ومحاسـب وقانونـي وإداري وأديـب.. كل ذلـك لا شـيء، إن تفوقك الرائـع أنك ممثل وجمهورك النساء.

– أنـا مقـدر طبعـاً انفعالـك، ولكننـي واثـق من رجاحة عقلـك، وأنني أعطيتك كل شـيء معنوياً ومادياً، بشـرط واحد فقط هو موافقتـك بـل وتكونين بجانبـي إذا ما عرف الأولاد، خاصـة أن مـن اخترتهـا زوجـة، أولادها مقررون الهجرة وستلحق بهم، ولكنها ستحاول إقناعهم أن تبقى ولا تهاجر معهم.

– وإذا رفضت؟

– سـأسـتزوجها، وليـس لأبنائي أي حق في محاسبتي، لقد أديت واجبي نحوهم على خيـر وجه، بـل وما زلت أرعـى أبناءهم، أما أنت فزوجتـي الحبيبة أعدك أنني لن أقصر معك، بل سـأضفي مزيداً من الحب، بل ولك الأولوية، لكن ليس من حقك أن تحجري عليّ ما دمت قد وفيتك كل حقوقك.

– سأترك لك المنزل بل وكل حياتك.

– أتمنى ألا يحدث هذا، لكن أنت حرة.

وتركنـي غارقة في متاهـات الحيرة، هل فعـلاً زوجـي كما يدعـي ذو طبيعـة ونوعية خاصة مـن الرجال، بحيث يشـرع له التعدد خاصـة أنه متعـدد فـي المهن التـي يتقنها والرياضات التي مارسـها حتى الطعام الذي يتناولـه؟ وهل بتلك التبريرات التي يسـوغها لنفسه مخلص؟

وهل هو حقاً كما يفهم الوفاء والإخلاص وفـيّ مخلـص كمـا يدعي لأنـه تـزوج عدة نسـاء وظل محافظاً عليّ ولم يؤثر ذلك على واجباته تجاهي كزوجة وكأب وجد؟

لـم أذق طعـم النـوم منذ صدمنـي، وأنا فـي حيرة من أمـري، نار الغيـرة تعتصرني، وذكرياتـي معه تؤرقني، كل كلمـة حب قالها لـي هي مكـررة وقالها لغيـري، زوجي الذي كنت أعتز به لي وحدي كان مشـاعاً لزوجات أخريـات، كـم أدعـي أن علاقتـه بي سـبب إبداعـه فيهـا بسـبب حبـه المتميـز لي، ثم اكتشـفت أن السبب هو خبراته المتعددة من زوجاته.

هل عليّ أن أقبل ضعفه، وأبتلع نار الغيرة وأوافق على زواجه بـل وأبرره لأبنائنا إذا ما عرفوا؟

أم هل أترك له الدنيا وأعيش مع الأولاد متنقلـة من بيت لآخـر أو أسـتقل ببيت لي، خاصـة أنه كان قد أعطاني هدايا مالية عدة مرات تمكنني من الاستقلال عنه.

أسـتاذي، معـذرة لا أطلـب رأيـك! بـل أستسـمحك نشـرها لأسـمع فقـط رأي الزوجات لأنهن فقط من سيشـعرن بمعاناتي وليـس الرجـال ولا المطلقـات ولا الأرامـل واللائـي لا يروق لهن إلا خطـف المتزوجين مـن الرجـال حتـى يفسـدن علـى زوجاتهم حياتهن.■

الكتَّاب الدنيويون.. وشيطنة الإسلام! (٢ – ٤)

خدمة الغرب

إن موقف الكتَّاب والمفكرين العرب الذين يتصدرون المشهد الثقافي المعاصر وإصرارهم على شيطنة الإسلام ووصمه بالإرهاب بعد أن كانوا يصفون به بعض الشخصيات أو الجماعات، واستخدامهم لمصطلح الإرهاب الإسلامي بمعناه الغربي دون تحفظات، لهو إهانة للإسلام، وخدمة رخيصة للغرب واليهود حتى لو لم يقصدوا.

وإن المرء ليعجب من إصرارهم على ازدراء دينهم ومواطنيهم، في الوقت الذي لا يشيرون فيه بكلمة إلى جرائم غير المسلمين، بل يذهبون إلى مدى أبعد حين يجعلون النموذج الغربي الوثني الدموي هو الغاية التي ينبغي أن تسعى إليها أمتنا وتتماهى فيه؛ بل يسوّغون جرائم غير المسلمين واحتلالهم لأوطان إسلامية بحجة دعم أتباعهم من أعداء الإسلام والأمة!

تصوير الإسلام بالدين الإرهابي يراد فرضه على أمتنا فرضاً ويُطلب منا أن نتقبله

بقلم: أ. د. حلمي القاعود

اعترف مسؤولون عرب بأن الغرب طلب من بعض الحكومات العربية تشجيع بعض الاتجاهات الإسلامية المتشددة

إن هذا الخلل الفكري أو الاضطراب المجافي للعقل والمنطق أو تصوير الإسلام بالدين الإرهابي؛ يراد فرضه على أمتنا فرضاً، ويُطلب منا أن نتقبله، وننصاع له؛ لأن نفراً من المسلمين اتهمتهم دول معينة بأنهم إرهابيون، مع أن كثيراً من التقارير تشير إلى أن أجهزة المخابرات في هذه الدول هي التي تقوم بصناعة من تسميهم إرهابيين سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وفي سياق التلاسن بين الروس والغرب، فإن روسيا شبهت بريطانيا بـ«قطاع الطرق»، والغرب اتهم الروس بمساعدة طالبان و«داعش» («الأهرام» ٢٠١٨/٣/٢٥م).

لقد آثرت أن أسجل في السطور السابقة نماذج للإرهاب الحقيقي والمزمن لدى أصحاب الثقافة الوثنية المعادية للإنسانية، ليتذكر مثقفو السلطة في البلاد العربية أن للأمر وجوهاً أخرى، وأن صناع الإرهاب ليسوا من المسلمين دائماً، ولعلهم يحاولون إنصاف أمتهم المستباحة حين تستيقظ ضمائرهم، وينكشف الغطاء عن عيونهم وعقولهم.

حفاوة غريبة

وسنرى في السطور التالية نموذجاً للحفاوة الغريبة بالروايات التي تشيطن الإسلام، ولا تخافت باستخدام مصطلح الإرهاب الإسلامي، دون أن يهتز لها جفن أمام الإرهاب الصليبي أو الصهيوني أو الوثني الذي يعصف بالإسلام والمسلمين، ولا تشير إليه بحرف أو بنت شفة!

على مدى أربعة أسابيع كتب د. جابر عصفور، وزير الثقافة الأسبق، في «الأهرام» -أكبر الصحف المصرية- أربعة مقالات طويلة، احتفاء برواية تشيطن الإسلام والمسلمين في حرب أفغانستان، دون أن تذكر بكلمة الجريمة الكبرى التي اقترفها الشيوعيون السوفييت وعملاؤهم في حزبي «خلق» و«البرشام» الشيوعيين الأفغانيين ضد الشعب الأفغاني المسالم المسلم! أو الجريمة النكراء التي تلت خروج السوفييت وانتصار المقاومة الأفغانية، وتمثلت في الحرب الوحشية الضارية التي شنتها الولايات المتحدة والتحالف الغربي المساند لها، ضد أفغانستان المسلمة!

استغرقت المقالات الأربعة شهراً كاملاً من ٢٠١٨/٢/١٠ إلى ٢٠١٨/٣/٩م، أردفها عصفور بسلسلة أخرى حول رواية مشابهة تنسف الحقائق المتعلقة بموضوعها، وتحول الضحية إلى مجرم، ولم توجه إلى الجاني الحقيقي بكلمة استهجان.

الرواية الأولى اسمها «أساطير رجل الثلاثاء» كتبها صبحي موسى وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، سنة ٢٠١٣م.

ويقدم عصفور لمقالاته عن الرواية بالإشارة إلى الجيش السوفييتي الذى «اضطرّ» إلى احتلال أفغانستان؛ دعماً لحليفه الشيوعي الأفغاني حفيظ الله أمين، رئيس حزب الشعب الديمقراطي (خلق) الذي قام

بالانقلاب على نظام الحكم القديم، وأصبح رئيساً لدولة أفغانستان التي سرعان ما جاءها الدعم السوفييتي؛ تأييداً للنظام الماركسي الذي بدا «واعداً» للمتحمسين له من أبناء الأفغان.

وفي هذه الفقرة أكثر من لغم لا يليق بمن يحرصون على أوطانهم -ولا أقول: دينهم الذي قد يكون ذكره مزعجاً لهم- وأول هذه الألغام اضطرار السوفييت لاحتلال أفغانستان المسلمة وفرض إرادتهم وعقيدتهم على شعبها المسلم، هل هناك ما يبرر لدولة احتلال دولة أخرى؟ هل يجيز ذلك القانون الدولي؟ وهل تسمح به الكرامة الوطنية؟ وهل تبيحه العقيدة الإسلامية؟ كنت أتوقع أن يستنكر جابر عصفور الاحتلال السوفييتي لأفغانستان، لا أن يسوغه ويجد له سبباً في الاضطرار الذي لا يراه أي إنسان سليم الفطرة على ظهر الأرض!

هل قيام حزب خلق الشيوعي بالانقلاب على حكومة البلاد يسوغ للسوفييت أن يدخلوا كابول بالطائرات والدبابات والمدافع والجيش الأحمر ويجعلهم مضطرين لذلك؟

ثم ما معنى أن يكون النظام الماركسي واعداً؟ وهل الماركسية صارت بديلاً عن الإسلام؟ وهل الشعب الأفغاني المسلم الذي أسهم في بناء الحضارة الإسلامية بعلمائه وفقهائه ومحدثيه وأدبائه وشعرائه ومؤلفيه في شتى فروع المعرفة على مدى قرون يجب أن يصير مرتهناً للماركسية «الواعدة» في حزب خلق، أو منافسه حزب البرشام؟

ثم إن الشيوعيين الأفغان كانوا مثالاً للتناحر والخلافات والاغتيالات والغدر مع بعضهم بعضاً، فضلاً عن إجرامهم في عملية استئصال الإسلام وقتل العلماء والفقهاء والمسلمين، وملء السجون والمعتقلات بالآلاف من أبناء الشعب الأفغاني.

لم يذكر جابر عصفور شيئاً عما قام به الشيوعيون الأفغان من جرائم ضد شعبهم، وبالطبع لم يشر إلى ما قامت به الدبابات والجيش الأحمر من مذابح ومجازر، ولا ما قام به الطيران الشيوعي السوفييتي من قصف المدن والقرى والمزارع بالغاز المحرم الذي كان يسميه الإعلام الدولي «المطر الأصفر»!

الأخطر من ذلك هو تركيز عصفور على انتقاد فكرة الجهاد، وكأنه يريد أن يدين الإسلام والمسلمين، لأن الله شرع لهم الجهاد ليردوا المعتدين الغزاة، ويؤمّنوا بلادهم وحدودهم، فينسب الفكرة إلى ما يسميه تنظيم الجهاد الإسلامي في مصر، الذي يقوم على معتقدات سلفية جهادية تعتقد كفر الدول والأنظمة والمؤسسات والأحزاب التي تقبل الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، أو تحتكم إلى غير شريعة الله، أو تُلزم الناس بالأنظمة المناقضة للإسلام أو تدعو إليها، مثل الشيوعية أو الديمقراطية أو الاشتراكية، وما أشبه ذلك من أنواع الجاهلية المعاصرة.

تشريع إلهي

وهذا خلط وتخليط بين الوحي الإلهي والسلوك البشري، فالجهاد لم يشرعه من أقاموا تنظيم الجهاد، بل هو تشريع إلهي أُمر به المسلمون دفاعاً عن أنفسهم وتأميناً لوجودهم في آيات بينات صريحات لا لبس فيها ولا غموض، ومنها: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾) (الحج)، (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴿٥٢﴾) (الفرقان).

فالجهاد -كما توضح هاتان الآيتان وغيرهما- وحي إلهي صريح للدفاع عن النفس وتأمين الوجود الإسلامي، ومن يقتل بسببه فهو شهيد، والآيات كثيرة في هذا السياق، أما حين يتحرك بعض الناس بوحي صناع الإرهاب، أو بفهم مغلوط، ويتخذ من تشريع الجهاد وسيلة لتحقيق أهداف غير إسلامية أو خاصة، فلا يجوز أن نتهم الإسلام أو التشريع في ذاته.

وإذا كان بعض الفقهاء والعلماء يجعل الجهاد الركن السادس من أركان الإسلام؛ فإن التفريط في هذا الركن يعد مخالفة صريحة للإسلام؛ فمقاتلة أعداء الإسلام ومغتصبي أوطان المسلمين، فريضة ناجزة في الموعد الذي يتفق مع استعداد الجيوش وتجهيزها. أما الهروب من مواجهة الأعداء ومغتصبي الأوطان والاستسلام أمامهم فهو فرار، وهو خيانة عظمى، وله عقاب في الدنيا والآخرة.

إن التخليط باستدعاء العقل السلفي، وبعض العلماء في زمن مضى لا مجال له هنا، لأن بعض هؤلاء العلماء قاموا بواجبهم الجهادي ضد الصليبيين وأتباعهم الطائفيين الذين خانوا الأمة وخانوا الإسلام جميعاً.

وأظن أن مواجهة الغزاة السوفييت وعملائهم من

الشيوعيين الأفغان الخونة كان واجباً دينياً ووطنياً، ومن حق المسلمين أن يستعينوا بكل من يمكنه مساعدتهم بالمال والسلاح، ولا ذنب لهم بعدئذ إذا أسفر هذا المساعِد عن وجه قبيح ومكر خبيث.

ولا شك أن انتصار الأفغان المسلمين على الغزاة وأتباعهم كان مفاجأة لأصحاب الوجه القبيح والمكر الخبيث؛ فأعملوا آلة المكر والإجرام للوقيعة بين المجاهدين الأفغان، وتحويل وجهتهم الصحيحة إلى وجهة خاطئة تسفك الدماء المحرمة وتقتتل فيما بينها، وتمزق البلاد، وتفتح المجال لأغراض بعيدة عن الدين والمصلحة الوطنية، وقد استطاعت جماعة «طالبان» في مرحلة معينة أن تسيطر على البلاد وتوحدها وتوقف الصراع الدامي إلى حد كبير، وهو ما لقي ارتياحاً في العالم الإسلامي، مع التحفظ على بعض المفاهيم التي تصب فيما يسمى التشدد أو التدين الشكلي.

يعد جابر عصفور رواية الطاهر وطار «الزلزال» الرواية الأولى في مواجهة الإرهاب

بعض الفقهاء جعلوا الجهاد الركن السادس من أركان الإسلام والتفريط فيه مخالفة صريحة للدين

الهروب من مواجهة الأعداء ومغتصبي الأوطان والاستسلام أمامهم خيانة عظمى

الديني زمنياً؛ فقد ظهرت سنة ١٩٧٤م، وتأتي بعدها -كما يعتقد- رواية صبحي موسى «أساطير رجل الثلاثاء» (٢٠١٣م)، ويقصد به أسامة بن لادن الذي ارتكب جريمته الكبرى بنسف برجي مركز التجارة العالمي بجزيرة «منهاتن» الأمريكية يوم الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وأسفرت عن مقتل ثلاثة آلاف شخص تقريباً ليس من بينهم يهودي واحد! وتحمّل الرواية أسامة بن لادن عولمة الإرهاب الإسلامي، عبر أقطار العالم المختلفة، محققاً للمرة الأولى في تاريخ البشرية ضحايا من المواطنين الأبرياء على امتداد الأقطار والقارات كما تزعم!

وتقدم الرواية مجموعة من الشخصيات التي شاركت في مقاومة الاحتلال الشيوعي بأسمائها الحقيقية، أو الرمزية فهناك الملا محمد عمر زعيم طالبان، الذي نراه في الرواية باسم «مجد الدين»، كما نرى أسامة بن لادن باسم «أبي عبدالرحمن»، وعبد الله عزام باسم «أبي سعيد»، ود. أيمن الظواهري باسم «حسن الصباح»، وذلك في سياق يجعل من عبدالله عزام مُمثلاً للجماعات المحاربة التي سرعان ما تصارعت مع أقرانها في خلافات أدت إلى مقتله مع ولدين له؛ دفاعاً عن المكاسب المادية وليست الدينية! وهناك شخصيات أخرى: سعيد المصري، وممدوح محمود سالم، وسيد إمام، وأبو عبيدة البنشيري، ووائل حمزة جليدان، ومجموعة من قيادات المجاهدين الأفغان، أمثال: عبد رب الرسول سياف، وبرهان الدين رباني.

الإرهاب الديني

لا تعنينا في هذا المقام

لم يذكر عصفور جرائم الشيوعيين الأفغان ضد شعبهم وما قام به الجيش الأحمر من مجازر

عصفور انتقد فكرة الجهاد وكأنه يريد أن يدين الإسلام والمسلمين لأن الله شرع لهم الجهاد ليردوا المعتدين

الجهاد لم يشرعه من أقاموا تنظيم الجهاد بل هو تشريع إلهي أمر به المسلمون دفاعاً عن أنفسهم

أسماء من تتناولهم الرواية بقدر ما تعنينا فكرة شيطنة الإسلام، وجعله مصدراً للشر والقتل والخراب، على سبيل المثال يبدو عبدالله عزام صانعاً لقادة الإرهاب الإسلامي كما يسميه عصفور وعلى رأسهم أسامة بن لادن، فقد كان عزام صديقاً لوالد أسامة، ومشاركاً إياه في الحلم بعالم إسلامي موحّد، ترفرف عليه راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وكانت لابن عزام طريقة مبهرة في جذب الأنصار وتجنيد المجاهدين، وهو الأمر الذي أوقع أسامة في شباك حلمه، وجذب إليه الفتى الذي كان مستعداً بتكوينه الفكري والوجداني والديني لأن ينجذب إلى عالم ابن عزام كما تنجذب الفراشات إلى النار.

ويرى عصفور أن صبحي موسى هو الروائي الذي استطاع أن يستنبط وعي هذا الإرهابي الديني، ويجعلنا نرى داخل وعيه، وعالم أسراره التي تفضحها هذه الرواية بجرأة لا بد من تقديرها!

وينعطف عصفور نحو هجاء ما يسميه العقل السلفي ويصفه أنه عقل لا يعيش في الحاضر، وإنما يعيش في الماضي الذي يرجع إلى القرون الأولى للإسلام، ولذلك فهو عقل لا يرى ما حوله على سبيل الحقيقة وإنما يرى ما وراءه أو يتباعد عنه.

ويرى أن الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، واحد من تلك الأيام التي شكلت تحولاً تاريخياً في المسار العالمي، وكانت منعطفاً تاريخياً تكبد العرب والمسلمون ثمنه غالياً، وشكل نقطة تحول كبير في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية سواء من ناحية سياستها الداخلية أو الخارجية، أو على صعيد العلاقات الدولية وخاصة منها ما يربط الغرب بالعالم العربي والإسلامي، وكأنه يمهد لتبرئة الولايات المتحدة من ذبح شعب مسلم بريء لا يعرف أين تقع مانهاتن، أو نيويورك، أو الولايات المتحدة، وبدلاً من أن تقوم الولايات المتحدة باحترام القانون الدولي والأعراف العالمية، فإنها تتحدى الناس جميعاً وتقوم بمحاسبة من تتهمهم بالإرهاب وارتكاب الجريمة الدامية في برجي التجارة، وتذهب لتحارب الشعب الأفغاني المسلم، وتدمر بلاده، وتظل جاثمة على صدره حتى الآن (سبعة عشر عاماً)، ولا أحد يعلم متى ترحل، وإن كانت قد رضخت أخيراً للصلح المقترح من رجلها رئيس أفغانستان الحالي بالجلوس مع «طالبان» للتفاوض.■

حُداءُ الشِّعْرِ محمودُ

شِعْر: د. عبدالرحمن علي الحَجّي

حُـــدَاءُ الـشـعـر لـلأُنْـس محـمـودُ وهـاجِـسُ النفس لـلأقـوال مَـمْـدُودُ
فَـلَـنِـعْـمَ الـحُـدَاءُ مـا كـانَ عَـفْـواً إذا مـالَـتْ إلـيـهـا فـيـه تَـجْـديـدُ

الجمعة ٢٥/٩/٢٠٠٩م، عندَ بَواقي ثُمَالات[١] عيد الفطر المبارك، صَحَوْتُ حول الأذان فَجْراً، والجو مملوءٌ بعَبَق مِسْكه الفياض المُتَضوع، تموج آفاقُ صباحه الميمون نَشْرُه وانتشارُه، للخاطر كلامٌ ناغمٌ، وُلُوجُ ميدان الشعر العَذْب الهَنيّ الرقيق.. مضيتُ بهذه القصيدة، بنكهة أدب وشِعْر الوزير الغَرْناطي لسان الدين بن الخطيب، بآفاقها المدْرارَة عاليةَ الجَدارَة.. ثم جَرى استكمالها في مدريد الثلاثاء ٣/١٠/٢٠١٧م.

اقـرؤوا الشِّعْرَ بباقاتِ الـوُرُودْ هَفْهَفاتٌ مَيْلُها تَهْوَى العُـلا نَسَجَتْ فـي حُبِّـهِ أردانَـهُ
أَلَقُ الأَجْـواءِ مُنْسَاباً يَجُودْ في حُداءٍ باهِـرٍ نَسْلُ جُدُودْ سائراً في الركبِ أمثالَ الطرودْ
هَيّا احملُوا للّه أعـلامَ الهُدَى أطْـرَبَ الأَنْغامَ فيها دَهْـرَهُ دَنْدنـوا فيه بآلاتِ الوَفا
ثم نـادُوا بـالـوَرَى عَـمَّـنْ يَـزُودْ يَتَعالى فـي غِيابٍ وشُهُودْ نَغَمٌ يَرْجُـوهُ والكُلُّ وَدُودْ
زَوِّدُهـمْ بـالـمعـاني وارفـعـوا فَـخُـذُوهُ وانْـثُـرُوهُ حَـوْلَـنـا صَوْتُهُ يأبَـى فيَجْني أدَباً
لا يُـدانـيـه انـطـفـاءٌ أو خُـمُـودْ هذه الأطيابُ مِـنْ تلكَ الوُرُودْ في حَناياهُ تَرامَـى بالوُعُودْ
عَـمَـلٌ أَنْـعَـشَ حَـقّـاً وانْـجَـلى كَـتَـبَـتْ أقـلامُـهُ فـي وَجْـهِـه لِيُنادي في الديـار قائلاً:
كُلّما تُتْقِنُهُ يَحْمِي السُّـدُودْ يا شَقيقَ الروحِ أهواكَ عُقُـودْ[٤] اسْجُدُوا للّه خَلاّقِ الوُجُـودْ
واكتُبوا مِـنْ نَسْجِها مُشْتاقَةً لَحْنِ الأَنْغامَ أفْراحَ الهَنـا في جُلُوسٍ عندَ حَبّاتِ القلوبْ
آهاتُ وَجْدٍ عامِـرٍ حيثُ يَعُودْ هذا يومُ الدهرِ تُحْييه الخُشُودْ تَكْتُبُ الشِّعْرَ دَوامـاً وتَجُودْ
لِعُشوشِ النفس أَرْتـالاً لها سَلَكَتْ فـي مَوْكِبٍ تَرْقَى به بِرَقيقِ القَوْلِ لَمَسَتْ أحْرُفُها
في هَواها طائـراً نحوَ الصُّعُودْ واستمالتْ نحوها عِنْدَ السُّجُودْ كامِنَ الأشـواقِ بالحُبِّ الوَلُودْ
وهُيامٌ غَمَـرَ الـذاتَ هَوَىً يا رفيقَ الدربِ هـذا حُبُّكُمْ أنْـمُـلاتٌ[٧] سابِغـاتٌ سِتْرُها
مَـلأتْ أرْكانَـهُ دونَ حُـدُودْ خَفَقَ القلبُ بـه وَهْوَ عَنُودْ[٥] بالكمالاتِ وشاحـاً للخُدُودْ
وُكُنَاتُ[٢] الطيْرِ قد حاطتْ بـه يَتَوالى خَفْقُها في نَعْمَـةٍ يا لها أُمْنِيةً دانَـتْ لهـا
مائجاتٌ في عُلاهـا لا قُيُودْ بلُزُومِ الـوُدِّ باتَتْ كالعُهُـودْ ثم مالَتْ مِـنْ أعاليها الرُّدُودْ
مائلاتٌ ضِمْـنَ أسرابِ النّوَى[٣] ومَضَتْ تَمْشي على مِهْمازِه[٦] مالَتِ الأشجارُ فيها رَوْعَةً
عانَقَتْها رِقَـةٌ وهي رُعُودْ يا طَرُوباً بالأناشيدِ تَقُـودْ حانِيَاتِ الظلِّ حَفَّتْهُ السُّعُودْ

رَفْرَفاتِ النفسِ طافَتْ رِقَّةً
مَنَحَتْ في خَفْقِها نحوَ البُنُودْ

في دِثارٍ قارَبَتْ أسْداؤُهُ
لامَسَتْها لُحْمةٌ[8] فيها القُعُودْ

قائماتٍ حَوْلَها لَمّا دَنَتْ
مُفْرِحاتٍ تَرْتَوي منها الجُهُودْ

لا تَمَلُّ والهُدَى تَحْفَظُهُ
نِعْمَ دارٌ أنتِ فيها لِتَسُودْ

عبقريُّ الروحِ عُذْرِيُّ الهَوَى
بِصفاءٍ يَرْتَدي خَيْرَ البُرُودْ[9]

وخِطابي في الدُّنا أُخْلِصُهُ
لكريمِ النفسِ بالحُبِّ يَذُودْ

أنا مَنْ أهْوَى وإياهُ جديدْ
أنتِ في الخيرِ طليقٌ بالقُيُودْ

خَلَجاتٌ في حناياها سَرَتْ
ثُورةُ الفوزِ رَخِيّاً بالرُّفُودْ[10]

تَتَهادَى في عَشِيّاتِ المُنَى
مُتْرَعاتِ البَأْسِ تتلوها رُدُودْ

شامِخاتٌ فوقَ ذِياكَ الذُّرَى[11]
وربيعُ النفسِ للفَهْمِ مُهُودْ[12]

ارفعوا الأيدي إلى اللهِ الذي
كلما تدعو تَلَقّاكَ المُدُودْ

يا مُقيماً ثَبِّتِ العِلْمَ وقُمْ
دائماً للحقِّ يَحْيَا بالنُّجُودْ[13]

هذا دَرْبٌ فيه أمْدادُ التُّقَى
يُفْرِحُ النَّفْسَ وتَحْمِيهِ أُسُودْ

الهوامش

(١) الثُّمالة: بقية الشراب: شراب ورغوتُه، مفرد جمعها: ثُمال. وثُمَالات: جمع الجمع. أما الثِمالُ: المَلْجَأ والغياث. ورد في قصيدة أبو طالب عم النبي ﷺ، يمدحه:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوَجهِهِ
ثِمالُ اليَتامَى عِصْمَةٌ لِلأرامِلِ

(٢) وُكُنات: عِشُ الطائر. مَكنات: بيض الطائر. الحديث الشريف: "أقروا الطير على مَكناتها".

(٣) النَّوَى: الناحية يُذْهَبُ إليها، وبمعنى: الدار: شَطَّتْ بهم النوى: أمعنوا في البعد عن ديارهم. كما يقال كذلك: استقرت به وبها وبهم وبهن النوى (أو: اطمأنت به النوى): أقاموا في ديارهم.

ذَكَّرَني هذا ببيت شعر جميل لأبي قيس صِرْمَة بن أبي أَنَس، أسلم وحَسُنَ إسلامُه، لدى هجرة الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة المنورة، له عدة قصائد، منها التي مطلعها:

ثَوى في قريشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً
يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَديقاً مُواتِيا

فلَمّا أتانا واستقرَّتْ به النَّوَى
وأَصْبَحَ مسروراً بِطَيْبَةَ راضِياً

بَذَلْنا له الأموالَ مِنْ حِلِّ مالِنا
وأنفُسَنا عند الوَغَى والتآسِيا

أما مائلات: مال عنه: حاد وعَدَلَ. مال إليه وإليها: أحَبّه وأحبها وانحاز إليه وإليها، ومال الهَوَى به إليها، وهو ما أردتُه هنا. هذا البيت التاسع من القصيدة أعلاه والذي قبله وبعده، فيها استعارة للحب والمحبين. البيت الحالي يَصِفُ الطير كالمُحِبّين، كيف أنها تكون متمايلة مائلة، بعضُها إلى بعض مَحَبةً وشَوْقاً وعِشْقاً، حتى وهي ضمن أسرابها سائرة نحو مقاصدها وتوجهاتها وديارها. وأسرابُ النوى: التي تُشير بحبها إلى حيث تريد استقراراً. أما: رُعُود، فهي جمع مفردها: رَعْد. وهو الصوت يُدَوِّي بعد وميض البرق. وجاءت هنا كلمة: رُعُود مقابل: رِقّة، إنها تعاملت بالرقة، وإن كانت في حقيقتها قوية كالرعد. فالرقة مقابل الرعد يخرج من ذات المنبت، حيث في حقيقته له من القوة الكامنة كقوة الرعد، لكنه في الواقع العملي الفعلي التطبيقي لنوعية المحبة، كان في تعامله الواقعي رقيقاً جداً. هذا في التعبير الأدبي يُشير إلى: الفعل، أي القوة الكامنة كالرعد، لكنه ومعه كان في الواقع العملي بالغ الرقة بمقدار ما لديه من الحب الكبير.

(٤) العَقْدُ (مفرد، جمعُها: عُقُود): ما عُقِدَ من البناء (لعله من كل أنواع البناء، كالبناء بالمرأة، أي الزواج منها). كذلك: العَهْدُ والاتفاق بين طرفين، مثل: عَقْد الزواج. كما يَعْني: عَشْرَ سنين. وصيَغ العُقُود: جُمَل يَنْشَأ بها العَقْدُ، كقولهم: زَوَّجتُك. العِقْدُ: خيط يُنْظَمُ به الخَرَز يحف بالعُنُق.

(٥) صفة للمذكر والمؤنث. السحابة العَنُود: كثيرة المطر. وتعني الفائز من الناس والأشياء.

(٦) المَحَث، المُوَجّه لهدف.

(٧) أُنْمُلات: جمع، مفردها: أُنْمُلَة. عُقْدَة الإصْبَع أو سَلَاماها (السُّلَامَى: عظام إصْبَع اليد والقدم. مفرد، جمعها: سُلَامَيات). والمَفْصل الأعلى من الإصْبَع الذي فيه الظُّفْر، يُشير لأطراف البنان.

(٨) يتكون كل نسيج من سَدَى ولُحْمَة. السَّدَى: ما يُمَدُّ طولاً في النسيج، جمعها: أسداء. اللُّحْمَة: ما يُمَدُّ عَرْضاً في النسيج. جمعها: لُحَم. قد تُسْتَعمل للقرابة، يُقال: بينهم لُحْمَة نَسَب.

(٩) جَمْعٌ : مفردها: بُرْدُ: كساء: كالبُرْدَة، قصيدة مدح الرسول الكريم ﷺ.

(١٠) الحُلوب التي تَمْلأ الرِّفْدَ (الإناء الضخم)، في حَلْبَة واحدة.

(١١) المكان المرتفع، القِمّة.

(١٢) جمع مَهْد: مَحْضن.

(١٣) النُّجُودْ: نَجَدَ الشيءُ نُجُوداً: ارتفع. نَجَدَ الأمرُ: وَضُحَ واسْتَبَان.

الأخيرة

بقلم: د. يوسف السند

المعايير الإيمانية والتربوية للمؤسسة الربانية (٩)

التعلُّم المستمر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري).

يجمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث الشريف عمليتي التعلم والتعليم بإيجاز مبهر وعجيب ومبدع بما علمه الله تعالى، يلهم المستمع الجد والحماس للتعلم وللتعليم وعدم التوقف إلى نهاية العمر حتى يحوز على خيرية مباركة مشهودة بختم خير ولد آدم وإمام النبيين وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

ويستمر التعلم لدى أفراد المؤسسة الربانية بلا كلل ولا ملل ولا تضجر؛ فالمؤسسة بأفرادها المستمرين في تعليمهم مؤسسة شبابية حيوية تحيا بالمعرفة وتتطور بالعلم وتنافس على أحدث الأساليب وأرقى النظم وأجود النظريات، مؤسسة جديدة متجددة متعددة الإنتاج متنوعة الإبداع قوية الأركان بعناصرها القيادية البشرية المتربعة في مختلف أروقة وأركان وهياكل المؤسسة، بل هي مؤسسة جاذبة للعاملين بشتى مواهبهم وتنوع مشاربهم وقدراتهم، وهي مؤسسة تحوز على ثقة العاملين يوماً بعد يوم، فيكون الرضا الوظيفي والثبات لدى العاملين.

والتعلُّم المستمر في المؤسسة يتولد عبر نشر ثقافة التطوير الشخصي والارتقاء الذاتي للفرد في شتى مجالات الحياة، وعدم التوقف بعد نيل شهادة أو منصب أو بعد عمر أو خبرة بعد زمن.

لقد كان العلماء يتنافسون في التعلم وزيادة التحصيل والاستمرار على ذلك حتى قال أحدهم:

ما تطعَّمت لذَّة العيش حتى ... صرتُ للبيت والكتاب جليسا
ليس شيءٌ عندي أعزَّ من العلم ... فما أبتغي سواه أنيسا[1]

والمؤسسة الربانية المتميزة بمعاييرها وخبراتها تنفخ روح الاستمرارية في طلب الأفضل، والارتقاء نحو الأحسن والأجود في نفوس العاملين وكل العاملين، عبر الآتي:

- وضع الحوافز لمن ينال أعلى الشهادات والدرجات العلمية من أرقى الجامعات والمؤسسات.
- تكليف العاملين بتوثيق أعمالهم وإنجازاتهم بملف إبداع خاص بكل عامل، وهذا الملف يعتبر أحد معايير تقييم العامل.
- وجود المكتبات بأحدث الكتب والمراجع والمصنفات ووجود التصنيف الآلي والخدمات الإلكترونية المكتبية التي تُعنى بسرعة توفير المراجع كما هو موجود الآن بأرقى المكتبات.
- تكليف العاملين بعمل الورش والمحاضرات وإدارة المؤتمرات.
- تأصيل سفرات العاملين وتنقلاتهم عبر العالم لاكتساب الخبرات.
- الرقي في تقييم العاملين المعتمد على معايير موضوعية وثابتة.

لقد تميز علماؤنا بالاستمرار في طلب العلم وعدم التوقف؛ مما جعل إنتاج أحدهم العلمي يقارن ويعدل إنتاج مؤسسة بل مؤسسات، وما ذلك إلا بهمة طلب العلم والاستمرار في التعلم.

وأصحاب تلك العزائم لا يختلفون عنا في طبيعتهم الإنسانية وقُدراتهم الخِلْقية، وإنما يختلفون عنَّا في عُلوّ الهمَّة، ودأب العزيمة، وتجشُّم الصعاب، وامتطاء العقبات..»[2].

والحمد لله رب العالمين.■

الهامشان

(١) و(٢) أبوغدة، صفحات من صبر العلماء.